

١٣٢٧

بيروت غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٧ — الموافق ١٣ كانون الاول سنة ١٩٠٩

القابلية والفاعلية

جاء في مقالتنا « الاستقلال الشخصي او الاعتماد على النفس » الذي نشرناه في العدد الثامن من النبراس كلام اجمالي عن « القابلية والفاعلية » وعن «النظامات والشعوب» وعن «الانقلاب الاخلاقي او الادبي او ثورة الاخلاق والمبادئ » وقد طُلب الينا ان نوضح هذه المعاني في مقالات خاصة . لذلك نبدأ اليوم بالكلام عن القابلية والفاعلية :

***

القابلية هي استعداد الحيوان او النبات او الجماد للترقي عما هو فيه الى ما هو اسمى وافضل او لما هو احط وادنى ، والفاعلية هي المؤثر في هذه المواليد الثلاثة ارتقاء وانحطاطاً ، غير انهما شائعتان في الترقي والافضلية ، وذلك من باب تغليب اللفظ على احد معنييه ، ولا مشاحة في الاصطلاح

خلق الله هذه المواليد وجعل فيها استعداداً او قابلية للخير والشر او الترقي والتدني غير ان بعضها يكون الاستعداد فيه عظيماً والآخر يكون فيه وسطاً وغيرهما يكون فيه متدنياً او مغشّىً بحيث يُعتبر كأنه غير موجود . ثم خلق لهذا الاستعداد او القابلية اسباباً ووسائل او موثراتٍ وفواعل تُعمل محراثها في ارضها ليظهر ما كمن فيها من خير وشر على مقتضى ذلك المؤثر

فان لم يوجد في المواليد استعداد لقوه ذلك المؤثر فيكون المؤثر كالعدم ، وهكذا ان عُدم المؤثر مع وجود القابلية في المواليد فتكون القابلية كالعدم ايضاً

وتوضيح ذلك انك لو عمدت الى ارض ليس فيها استعداد للإنبات كأن تكون سبخة او صخرية وبذرت فيها البذور مع الاعتناء التام فلا تُنبت تلك الارض شيئاً مع ان الفاعلية والمؤثر موجودان ، ذلك لأن القابليـــة مفقودة في تلك الارض . ولو عمدت الى ارض فيها استعداد للإنبات غير انك لم تبذر فيها البذور او بذرتها لكنك اهملت وسائل الاعتناء المطلوب للانبات ، فان انبتت تلك الارض فيكون نباتهـــا قليلاً غير جيد ، ذلك لفقدان القوة المؤثرة . ولو كانت الارض صالحة ووسائل إنباتها موجودة لأنبتت نباتاً حسناً واعطت أُكلها كما يريد الزارع

ولو اتيت بقطعـــة من الخزف « الفخار » وطرقتها بمطرقة لتجعلها اناء فلا تلبث ان تتحطم لأنها غير قابلة لذلك . وكذا لو جئت بقطعة من النحاس واردت ان تحوّلها الى اناء بيدك من غير مطرقة فلا يتمّ ذلك لفقد السبب المؤثر . ولو اتيت بقطعة نحاس الى صانع وطرقها على مقتضى الاصول تصير اناء صالحاً للاستخدام

ولو اتيت بانسان وحملته على ان يتعلم علماً ليس في استطاعته ان يتعلمه لعدم الميل اليه او لضيق عقله عنه فلا يتعلم ذلك العلم ولو اتيت له بامهر المعلمين وابرع الاساتذة ، ذلك لانه لم يكن فيه استعداد يؤهله لتعلُّم ما تريد تعليمه اياه . وهـــذا هو السرّ في عدم نجاح كثير من طلبة العلوم وتلاميذ المدارس . لذلك يجب ان يُنظر فى ميل التلميذ ورغبته ومقـــدار عقله ، فان وُجد ميالاً للعلم وكان فيه استعدادٌ له فليخصّص لذلك ، وان وجد فيه ميل للتجارة او الزراعة او الصناعة فليخصّص لهما ، والا اضاع عمره ووقته ومستقبل ايامه سدى . ولو اتيت بانسان فيه استعداد للعلم مطلقاً او لفن من الفنون كالأدب والفلسفة غير انك جئت بمعلم لايعرف ذلك الفن او هو غير متقنٍ له فلا يمكن للتلميذ ان يتعلم هذا الفن ولو مكث بضع سنين ، ذلك

لان القوة المؤثرة مفقودة ، وهـذا هو السرّ في ضياع كثير من التلاميذ واضاعة اوقاتهم على غير جدوى ولا فائدة ،وهذا ما يجب ان ينظر اليه اصحاب المدارس خصوصاً المدارس التابعة للحكومة حرصاً على هؤلاء التلاميذ المساكين من تمضية سني حياتهم في التعب والنصب دون ان يحصلوا ما قصدوا اليه من الفنون . ولو اتيت بتلميذ فيه استعداد لفنٍّ من الفنون وسلمته الى معلم قادر على تدريس هذا الفن لنجح في وقت قصير

اذا وضح ما تقدم يمكننا ان نطبق حالة كل شعب وكل امة عليه ، فان الأُمة التي سمتْ مداركها واشتدتْ عزيمتها واستدَّت سهام إقدامها تكون قابلةً لكل رقي ومستعدة لكل نجاح ، وهذا هو الشأن في الامم الاوربية ، فانها بعد ان كانت امماً خاملة جاهلة تتسكع في دياجير الاوهام ، وتخبط في ظلام الجهل ، وتسبح في بحار الاستبداد — نبغ فيها قوم اجهدوا نفوسهم وذللوا الصعابَ وهاجروا في سبيل تحصيل العلم وتلقّيه عن اساتذتهم العرب الذين كانوا في ذلك الحين امةً حية هي مثال العلوم والفنون والصناعات والتقدم والرقي والقوة والمنعة والتبريز على الاقران في كل معنى من معاني الحياة الاجتماعية والمادية والسياسية — فلما نالوا ما قصدوا اليه رجعوا الى قومهم وبثوا فيهم تلك الروح العالية التي نالوها من العرب سواء في المشرق او الاندلس ونشروا بينهم انوار تلك العلوم التي اقتبسوها ، وما زالوا بشعوبهم يعلمونهم ويحثُّونهم على اكتساب العلم والهجرة اليه حتى تنبهوا شيئاً فشيئاً الى ان وصلوا الى ما هم فيه الآن ، فصاروا اساتذة العلوم والفنون ومرجع الصناعات والاختراعات ، فكانوا كلما تقدموا الى العلم والمدنية ذراعاً تأخرنا باعاً ، وكلما تقدموا باعاً تأخرنا ميلاً ، فبلغوا وقصَّرنا ، وافاقوا ونمنا ، وصاروا يفتخرون باعمالهم ونفتخر باجدادنا ، ويباهون بمجدهم الحاضر ونُزهى بمجدنا الغابر :

لعمركَ ما الانسان الا ابن يومه على ما تجلّى يومه لا ابن امسهِ

وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

هذا مثال من امثلة الشعوب التي ترقت بعد الانحطاط بسبب تربية العقل والميل الى الفضائل حتى غُرست فيها شجرة القابلية التي اثمرت ما نراه اليوم من الثمرات الجنية الطيبة

فعسى ان يقوم فينا رجال كما قام فيهم رجال فيرشدونا الى المهيع الحق ، ويأخذوا بايدينا الى صراط الحياة المستقيم، ويربوا في نفوسنا الاستعداد لصالح الاعمال حتى نرجع الى مجدنا السالف ، ونحيي ما مات من آثارنا ، والا فبعثاً يحاول من ينادي الامة لترقى دون ان يمهّد لها السبيل ويغرس في نفوسها ادواح الميل ، ويقذف بابنائها في المدارس حتى تدرك معنى الحياة والاجتماع وفائدة النهوض ، فان المدارس الحقيقية هي التي تربي الاستعداد وتُنمي القابلية ، ومتى تمّ هذان في الامة ووجد لها مؤثر وفاعل فبشرها بالنجاح العاجل والفلاح القريب

فان قيل : اية فائدة من ايجاد المدارس التي تربي الاستعداد اذا لم يكن هناك فاعلية وهي القوة التي تقوم بتنظيم هذه المدارس وادارتها وبث هذه الروح فيها ؟ فان هذه القوة مفقودة عندنا — فنقول : لقد أخطأ من قال ذلك ، فان القوة ليست بمفقودة ولكن من يتطلّبها مفقود ولو بحث عنها لوجدها ، وهي بمنزلة القوة الكهربائية لا تظهر الا بالاحتكاك ، فلو طلبها الطالبون لرأوا من آثارها عجباً

نعم ان هذه القوة ليست كما نريد لانها منحصرة في فئة قليلة تكاد لا تقوم بحاجيات الامة ، ولكنها لعدم استخدامها والانتفاع بها فترت همتها وقلّت الطائفة المودعة هي فيها . على انها وان كانت قليلة اليوم فستكون عظيمة في المستقبل ، خصوصاً اذا ارسلنا طائفة غيرها الى بلاد العلم حتى اذا نالت ماترجوه رجعت ونفعت قومها : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » — « اطلبوا العلم ولو في الصين »

رب قوم يئسوا من رقي هذه الامة وحكموا بعدم نهوضها من كبوتها بسبب

ما افسده الظالمون من نفوسها وما دمّروه من قواعد مجدها ، ولو تأملوا قليلاً ونظروا في حال الشعوب الغربية وما كانت فيه وما آلت اليه لرجعوا عن هذا الاعتقاد ، فان حالتنا اليوم هي خير من حالة تلك الامم قبل ان ترى بصيصاً من العلم ، ومع ذلك فقد نجحت حتى بهرت الشرق بعلومها واختراعاتها ، وما ذلك الا بما بذلته من الهمة القعساء

نعم ان بقي فينا قوم يائسون ورهط منفّرون يثبطون الهمم ويلقون العقبات في سبيل المصلحين والذين يريدون إنهاض الامه فاننا بلا ريب نبقى كما نحن الآن عالة على الاوربيين في كل شيء . اما ان رفعنا برقع الجهل وقتلنا مكاريب اليأس وأنحينا باللائمة على مثبّطي الهمم واعداء الرقي ، ثم اخذنا بايدي المصلحين واعنّاهم على ما يقصدون مادّةً ومعنى ، فلا يمضي حين من الدهر حتى نضارع الامم الغربية بل نفوقها في كل شيء وما ذلك على الهمم العالية والنفوس الطاهرة بعزيز ، فان الذكاء الشرقي مشهور والاقاليم التي يقطنها هي احسن الاقاليم ، ولكنْ قد ران على ذكائنا رين الخمول والظلم واختلط بترب اراضينا ميكروب الاهمال والاتكال ، ومتى كشف الغطاء ، ومات ميكروب ذلك الداء ، فيرى الغربي منا عجائب الاشياء ، ويسمع غرائب الانباء

.....

الرقي محقق والنجاح مؤكد متى وضعنا هذه الاقوال موضع العمل والاجراء ، اما ان بقينا نقول ولا نعمل فعلينا السلام ورحمة الله وبركاته :

لا ترجُ يا شرقُ الرقيَّ بقولِ   شرُّ المقال عليك ان لم تفعلِ
فانهض ولا ترهب الى الشرفِ العلى   ودع الفخار بمن مضوا واستبسلِ
«واقدم اذا حقّ اللقا في الاول[1] »

---

(١) هذه القطعة لمنشئ النبراس من احدى القصائد الشرقيات

واين يوجد علم ؟

في بيروت رجل قد اشتهر بالصارخ المكتوم او الصائح المكلوم ، وقد اختار هذا الامضاء فيما ينشره من الكتابات الحاضة على العلم والمهيجة لطلبه ، وفضلاً عن ذلك فله تبرعات خاصة من كتب ومال يصرفها للترغيب والاعانة على كثير من المدارس سواء في بيروت او غيرها ، وهو همام غيور متحرّق فؤاده حسرة ولهفة على نشر العلوم بين طبقات الامة ، فهو في كل يوم يختار اسلوباً في تنبيه النـاس وحثهم على تعليم ابناءهم لانهم افلاذ اكبادهم ، وقد رأى مؤخراً أن يكتب على كل جدار من جدران بيروت هذه العبارة : « تعلم يافتي فالجهل عار » ففعل فانتشرت انتشار البرق وكتبت على كل جدار من جُدر المدينة في كل شارع من شوارعها وحيّ من احياءها ، وقد بلغنا ان هذه العبارة قد رُسمت على جدران طرابلس ودمشق وغيرهما بايعاز من الصارخ المكتوم

وقد اتفق ان مررتُ في شارع من شوارع بلدتنا « بيروت » مع صديقين لي فنبهني احدهما الى كتابة بالقلم الرصاصي تحت « تعلم يا فتى فالجهل عار » وهذه الكتابة هي « واين يوجد علم ؟ » فخطر لي اذ ذاك ان كاتب هذه العبارة هو احد رجلين امامثبّط للهمم او رجل حسن النية متحرّق لقلة العلم في الشرق هو يستحثّ الهمم بكتابته تلك

ومهما يكن من الامر فلا بدّ من الجواب عن ذلك السوآل الموجه الى الصارخ المكتوم والى كل من يريد ترقية البلاد وانجاح اهاليها

العلم أيها السائل ؟ هو في صناديق الاغنياء واكياس المثرين وايدي الذين يُشبعون بطونهم في حين ان قومهم جائعو البطون جائعو العقول ضامرو النفوس ، فعليك بمطالبتهم بان يفتّحوا صناديقهم ويبذروا ما فيها من الاموال في اراضي

المدارس حتى تنبت نباتاً حسناً يعود خيره على مجموع الشعب ويكون للأغنياء منه الحظ الأوفر .

ان لم يهن الاغنياء اموالهم في سبيل خدمة الامة فلا يعتز الشعب ، فظالما كانت الاموال معززة مكرمة فان الامة ذليلة هينة

الاموال ايها الاغنياء ! ليست للكنز وانما هي للنفع واية فائدة منها اذا كانت مخفية محجوراً عليها ؟ :

والمال مثل الحصى ما دام في يدنا فليس ينفع الا حين ينتقلُ

ايها الاغنياء ! الامة غارقة فاصطنعوا لها حبالاً من ذلك الذهب المخزون وخلصوها بها ، واياكم ان تخلصوها بحبال القنب بدعوى انها رخيصة فانكم بها تخنقونها

العلم عندكم ايها الاغنياء ! فهل لكم ان تمنوا على الامة وتعلموها وتهذبوها ؟

افتحوا لها المدارس واصلحوا الموجود منها ، فان لم تهتموا بها فمن يهتم ؟ وان لم تسعوا لها فمن يسعى ؟ :

عليكم حقوق للبلاد اجلها تعهد روض العلم فالروض مقفر

ايها الاغنياء ! ان الاجانب يأتون الى بلادنا زرافات لاجل افتتاح المدارس وتعليم الشعب وليسوا وطنيين مثلكم ، فهل لكم ان تقتدوا بهم وتسيروا سيرهم ؟

ايها الاغنياء ! ان المتمولين الاجانب يدفعون الاعانات للمدارس التي تربي ابناءنا فهل لكم ان تدفعوا جزءاً من اموالكم لاجل تعليم اولاد الشعب الذين هم ابناؤكم

ايها الاغنياء ! ان الفقراء والمساكين ينظرون اليكم منادين آملين منكم ان تسمعوا نداءهم وتلبوا طلبهم ، فهل الى اجابتهم من سبيل ؟

رب قائل : ان الحكومة هي المطالبة في مثل هذا ، وهذا الكلام قد شاع السنة كثيرين ، ولكنه عن الحق بمعزل ، وذلك ان الامة ان لم يكن فيها همة عالية وارادة قوية تدفعها لأن ترقي نفسها بنفسها فلا سبيل الى اصلاحها وبلوغها درجة الحضارة

والمدنيـة ، خصوصاً وان الحكومة الآن تشتغل باصلاح اشياء كثيرة فلو صرفت الاموال على تعليم ابناء الامة فقط فمن اين تأتي بالاموال لاصلاح الجيش والاساطيل والبلاد ؟

ان الامم الغربية ماترقت الا بواسطـة اغنياءها الذين بذلوا اموالهم للمدارس والعلماء الذين نهضوا باممهم ، وكل يوم نسمع عن تبرعاتهم في سبيل العلم مايكاد لا يصدق

فاليكم ايها الاغنياء نوجه الكلام فان العلم عندكم وقد كنزتموه في صناديقكم وفي المصارف « البنوك » فلا تكتموه عنا ، فعلّمونا حتى نرقى وترقوا معنا ، فلا رقي الا بالعلم ، ولا علم الا ببذلكم الاموال ، فابذلوها رحمكم الله :

لا يخفض الانسانَ فقرٌ ان يكن ... يعليـه علم اوتقى بين الورى
وليس يرقيه الى اوج العلى ... مال ولا اهل اذا رام الشقا
فالعلم للانسان مثل الاب في ... اصلاح شأنه وذاك قد نما
اما التقى فهي تغذّي روحه ... كأُمّه وتلك اسمى للفتى
ولا ينال المرء مجداً شامخاً ... بين الورى الا بعلمٍ وتقى
فرّيض الروح بجنات التقى ... ان رمت ان تحيى حياة السعدا
وعلّم العلم الذي تعلمه ... تنلْ من الرحمن افضل الجزا (١)

دفع وهم

توهم بعض البسطاء من اخواننا المسيحيين اننا نقصد الاهانة بتسمية كنيسة القدس العظمى بالقيامة ولوعلم ان هذا الاسم هو المشهور في التواريخ لما خطر له هـذا الخاطر خصوصاً ان لنا مبدأ يعرفـه الجميع على اننا ذكرنا انها قد تسمى بالقيامة ايضاً ولم نقتصر على الاسم الاول • وان الذي يدعوالى الاتفاق واحترام كل طائفة الاخرى في الايام الماضية البائدة كما يشهد على ذلك فاتحة كتابنـا الذي رددنا بـه على اللورد كرومر فلا يتصوَّر ان يغير مبدأه في ايام الحرية والدستور فليهنأ بال المتوهم

---

(١) الابيات لمنشئ النبراس وكان قد نظمها في طور التلمذة وقد اقتبس معانيها من مقالة للزمخشري في « اطواق الذهب »

الرابطة الدينية

او

يوم الحج الاكبر

هذه هي المقالة التي كنا قد وعدنا القراء بنشرها في هذا العدد وقد كتبناها كما ذكرنا من قبل لجريدة الاتحاد العثماني ونشرناها فيها يوم عرفة

• • • • •

في هذا اليوم المبارك يضم ذلك الجبل العظيم الالوف المؤلفة من المسلمين القاصدين اليه من مشارق الارض ومغاربها

— في هذا اليوم السعيد يجتمع الجمع الحافل بالاقوام المختلفة اجناسهم المتباينة لغاتهم المتنائية بلادهم، اولئك القوم لم يكونوا لينضموا في محفل واحد يقصدون وجهة واحدة لولا الدين الذي يضم الشعوب ذوي الاختلاف العظيم في اللغة والجنسية والاخلاق والموطن

— في هذا النهار يقف اولئك الاقوام بلباس خاص وزي يتساوى فيه المأمور والامير والغني والفقير وتلك هي المساواة بكل معنى الكلمة

— في ذلك الموقف تسمع الاصوات المختلفة بلغات شتى والكل يدعون ويلبون يسألون الله التوفيق والنجاح في هذه الدنيا ويوم غد . تراهم في خضوع وخشوع ، وتضرع وقنوع ، تائبين الى الله مما جنوه من الذنوب تائبين الى عفوه وكرمه

— هذا اليوم السعيد هو عيد عظيم عند المسلمين ، وكيف لا يجعلونه عيداً اكبر وهو اليوم الذي اتم الله عليهم نعمته واكمل لهم دينهم فيه . فقد روى البخاري عن عمر بن الخطاب الله رضي عنه ان رجلاً من اليهود قال يا امير المؤمنين : آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال اي آية هي ؟ قال : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » فقال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة

فهذا اليوم هو يوم عظيم لعقد تلك الرابطة الدينية التي هي اعظم الروابط الاجتماعية المفيدة بلا استثناء

• • • • •

الروابط الاجتماعية كثيرة واهمها رابطتان رابطة الدين ورابطة الوطنية وقد اختلف الناس في ايهما الاقوى ، غير ان الناقد البصير يحكم بعد ان يفكر تفكيراً ان الرابطة الدينية هي اقوى

اقوى الروابط واشدها احكاماً ثم تليها رابطة الوطنية وهي رابطة قوية وصلة عظيمة تربط ابناء الوطن على اختلاف اديانهم ولغاتهم بصلة واحدة وهي صلة الوطن، فيسعون كلهم متفقين متحدين ويعملون على ما ينهض بالوطن والامة كلها الى اسمى درجات الرقي، وليس المراد بالوطن البلد الذي يقطنه الانسان فقط بل المراد به ما هو اعم من ذلك = المراد بالوطن البلاد التي ترتبط بصلة واحدة وهي صلة الحاكم بالمحكوم مهما تناءت واختلف قاطنوها لغة وديناً وجنساً وهي صلة عظيمة لو تفكر فيها الناس من قبل كما تفكروا فيها اليوم • فوطننا معشر العثمانيين هي ماتملكه دولتنا من البلاد المنسوبة اليها ، وان الرابطة التي تربطنا باهالي تلك الديار انما هي العثمانيـة التي هي الرابطة الوطنيـة

— الرابطة الدينية وما ادراك ما هي — هي صلة عظيمة تربط ابناء الدين الواحد مهما اختلفت اوطانهم وتباينت لغاتهم بصلة واحدة وهي الصلة الدينية • فان كانت رابطة الوطنيـة بصل ابناء البلاد المختلفة المحكومة بحكومة واحدة فان الرابطة الدينية تربط اهل كل دين مهما اختلفت حكوماتهم وتعددت جنسياتهم ولغاتهم بحبل ذلك الدين

— وليست الرابطة الدينية بمانعة من الرابطة الوطنية كما يتوهم البعض، اللهم ان كانت الرابطة دينية حقاً ليس فيها عقدة من عقد التعصب الاعمى الذي فشا في شرقنا

— اجل ان صلة الدين ليست عقبة في سبيل اجتماع ابناء الوطن ، لان هذه غير تلك وليستا بمتناقضتين، بل ان الدين من اقوى العوامل على احياء هذه العاطفة في نفوس النـاس «حب الوطن من الايمان»

— الرابطة الدينية هي اشبه شيء بروابط الجمعيات: خذ اية جمعية شئت تجدها نها تضم اعضاء كثيرين وهي تعمل اعمالاً غير ان قانونها لا يمنعها ان تشترك مع الجمعية الوطنية بل ربما اوجب عليها ذلك

— عرف اصحاب الاديان ذلك فوضعوا له نظامات وجعلوا له وسائل • والدين الاسلامي كسائر الاديان راعى هذه الرابطة وجعلها مقدسة

— شرع الدين الاسلامي للمحافظة على هذه الجامعة الدينية صلاة الجمعة في كل أسبوع • وصلاة الجماعة في كل يوم خمس مرات ، وفي ذلك من الحكم الباهرة ما يعرفه من درس الاجتماع حق الدرس غير ان المسلمين تساهلوا كثيراً بعدم المحافظة على اداء الصلوات في جماعة غير ناظرين الى الحكمة من مشروعيتها ،وان حديث «لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد» اعظم برهان على وجوب شدة المحافظة على هذه الرابطة

ولما كان الاجتماع في هذه الاوقات قاصراً على ابناء البلد الواحد واللغة الواحدة شرع الاسلام اجتماعاً عاماً آخر يضم المسلمين على اختلاف اجناسهم ولغاتهم وبلادهم وهو الاجتماع

في يوم خاص ومكان خاص : في اليوم التاسع من ذي الحجة في جبل عرفات والقصد من ذلك ان يجتمع العربي والتركي والكردي والجركسي والهندي والصيني وغيرهم في صعيد واحد يجددون عهود الاخاء وليتعرف كل واحد منهم باخيه ويبحثوا فيما يعود عليهم جميعاً بالخير والنفع

— عرف فائدة ذلك المشرّع الاعظم فاوجب على المسلمين من استطاع الى ذلك سبيلاً ان يقصد الى تلك البقعة من الارض ويحج اليها في يوم خاص

— وذلك الاجتماع اشبه بما يسمونه اليوم بالمعرض فانه معرض عام يختلف اليه المسلمون لتلك الحكمة العظيمة

غير ان الامر وياللاسف قد انعكس فقد غفل المسلمون عن هذا السر العظيم في ذلك الاجتماع المهم الذي فيه من الحكمة السياسية والادبية والمادية ما لا يعرفه الا من قتل السياسة علماً

— اوربا تحسدنا على هذا الاجتماع الذي لا يتيسر لهم وان نظرت الى الحقيقة رأيت ان المجالس النيابية « البارلمانات » نسخة عن هذا الاجتماع . وهو اعظم منهـا واجل فائدة لو تدبر المتدبرون . ان كان « البرلمان » او مجلس الامة او مجلس المبعوثان يضم مئات من الناس ينوبون عن قومهم فان يوم الحج الاكبر في ذلك الموقف الهائل يضم عشرات الالوف . وقد كان بعض غاياتهم من هذا الاجتماع هو عين الغاية التي اجتمع لها المبعوثون اليوم . غير ان المسلمين غفلوا عن هذا الامر او تغافلوا بحكم الاستبداد الماضي . فهل لعقلاء المسلمين اليوم ان يتفكروا في هده الحكمة العظيمة ويرجعوا الى ما كان يستنتجه سلفهم الصالح من الفوائد التي لا تحصى ؟؟

— ربّ قائل ان مجلس الامة اليوم قد كفانا هذه المؤونة

— فنقول له ان كفانا مؤونة السياسيات فلم يكفنا مؤونة غيرها من الحاجيات التي تختص بالمسلمين كترقية العلوم الدينية والعربية وسائر ما يتوقف عليه فهم الدين الحنيف . فهلا صرفنا جهدنا الى تأليف جمعية دينية تجتمع في ام القرى تبحث في ادواء المسلمين الدينية والاجتماعية وتعمل على ازالتها ووصف العلاجات اللازمة لها وبذلك نجاري القوم في حلبة التقدم والفلاح

— نحن في حاجة الى ذلك وقد بسط الكلام عليه المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي في كتابه «ام القرى» فان فاتتنا الفائدة السياسية فلا يليق بنا ان تفوتنا ايضاً الفائدة العلمية والدينية والاجتماعية

— ان اجتمعت تلك الجمعية تعمل عملاً يسطره الدهر ويكون له الشأن الارفع عند الامم وبذلك نكون قد استرجعنا شيئاً من المجد السابق الذي صار اثراً بعد عين بل ربما يتبع الاثر العين

فلنجعل هذا اليوم العظيم واسطة لهذا الاجتماع العظيم الذي يثمر الثمرات العظيمة فيجتمع لنا بذلك عيدان عيد الرقي العلمي والديني . وعيد عرفة . فان فزنا بذلك فنكون قد خطونا خطوة عظيمة في سبيل التقدم في الحياتين . وعلى الله قصد السبيل

الخرافات والبدع الدينية

جاءنا من بغداد سوآل مطبوع بامضاء «مسلم يطلب الحقيقة» وخلاصته : «ان الدين الاسلامي دين مدني يأمر بالترقي ويحث على كل فضيلة غير انه قد التصقت به بدع وخرافات ليست منه في شيء بل هو يتبرأ منها وينكرها اشد الانكار . لذلك نرى بعض الجهلاء يقدمون على فعل البدع واعتقاد الخرافات جهلاً منهم وظناً انها من الدين . فان ارادت احدى الجرائد او المجلات ان تتصدى لبيان هذه البدع واظهار تلك الخرافات ليعلم العوام انها ليست من الدين فيبتعدوا عنها فهل من امر يمنع من ذلك ؟ وهل الاولى اظهارها على صفحات الصحف او السكوت عنها حتى لا يطلع عليها غير المسلم ؟ فنرجو الجواب

* * *

— *النبراس* — من تأمل في الحكمة من ارسال الرسل وانزال الكتب وامر العلماء بهداية الناس وارشادهم يحكم بداهة ان لا مانع شرعياً ولا عقلياً يحظر نشر ما ليس من الدين وتعريف الناس به لينفروا عنه ، وتعريف العامة بامور يفعلونها وهي ليست من الدين — واجب على كل عالم باية وسيلة من الوسائل سواء بالوعظ في المساجد او في المجامع او في اي مكان ، ولما كان اكثر الناس اليوم منهم من لا يصلي اصلاً ومنهم من يصلي في بيته او حانوته ، والذين يصلون في المساجد قلائل — وجب اتخاذ وسائل غير الوعظ اللساني وذلك بنشر الرسائل والكتب والجرائد والمجلات التي تبحث في هذه الموضوعات ، لانها تكون خير واسطة لبيان الحقائق ، وليس في نشرها حط من شان الاسلام كما يتوهم بعض البسطاء من المسلمين

نعم ان نشر مثل ذلك في الجرائد سبب لاطلاع غير المسلمين عليه ، ولكن اي مانع من اطلاع الاغيار على أمور ليست من الدين يفعلها المسلمون ؟

ان في اطلاعهم عليها شرفاً للدين ، لانهم يعرفون بسبب ذلك انها ليست من

الاسلام في شيء

أيظن اولئك البسطاء ان الاغيار وخصوصاً الاجانب منهم غير مطلعين على الخرافات والبدع التي يعتقدها الجهلة من المسلمين ؟ بلى وربك انهم يعلمونها حق العلم غير ان منهم من يعتقد انها ليست من الدين وهم قلائل ومنهم من يعتقد انها من اصوله واساسه المكين ، لذلك قد رمى هذا الفريق الدين الاسلامي بما هو منه بريء وسبب ذلك انه اطلع على اعمال المسلمين فظن انها من دينهم فحكم على الاسلام بما ينافيه منافاة تامة ، ولو تصدت الجرائد لبيان هذه الخرافات والبدع حتى يقلع عنها الجهلة لكون قد خدمت الاسلام والمسلمين خدمة جلى

ان اعمال المسلمين اليوم قد حجبت حقائق الاسلام وسترت محاسنه وفضائله حتى ابرزته بصورة مشوهة غير حقيقية ، ونعم ما قاله الرصافي في هذا المعنى :

وليس بدين كل ما يفعلونه ولكنه جهل وسوء تفهم
لئن ملأوا الارض الفضاء جرائماً فهم اجرموا والدين ليس بمجرم
ولكنهم في جنح ليل من العمى تمشوا بمطموس العلائم مبهم
وقد سلكوا تيهاء من امر دينهم فكم منجد في المخزيات ومتهم

ومتى فهم العامة حقيقة الدين ونبذوا الحشويات والبدع ترتفع عن وجه الدين الحنيف تلك البراقع الكثيفة التي نسجت من اعمالهم وغطي بها وجه الاسلام . قال شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية رضي الله عنه : « الاسلام محجوب بالمسلمين » اي ان اعمالهم المخالفة له هي حجاب دون ان يرى انواره ومزاياه الاجنبي عنه

ان كثيراً من السياح الذين يقصدون الى بلادنا يكتبون عنها وعن المسلمين اشياء ينفر من سماعها الانسان ، وبعض هذه الاشياء حق لكن ليس للدين فيها مدخل وانما سببه مخالفة المسلمين للدين ، ولكن تسرع السياح يدعوهم الى ان يعتقدوا ان هذه الاعمال هي من أمور الدين ، وبعضها غير حق ، بل هو ناشيء عن التعصب الاعمى البحت

لذلك ارى ان لانقتصر على نشر البدع والخرافات في الجرائد العربية اوالتركية فقط ، بل يجب ان ننشئ جرائد بالالسنة الاوربية ندافع بها عن الدين ونبين حقيقته وانه ليس كما يتصورون ، ونوضح باجلى بيان تلك الحشويات والخرافات والبدع التي دسها من لاخلاق لهم في الكتب حتى اتخذها العامة دينا جديدا هو غير الاسلام فان فعلنا ذلك فنكون قدقمنا باعظم الواجبات التي يأمرنا بها الدين و يحثنا عليها العقل السليم

وقد قام ببعض هذا الواجب الاستاذ السيد محمد رشيد رضا فقد أنشأ مجلة المنار لهذه الغاية الحميدة ، وجاهد في هذه السبيل مجاهدة الابطال ، وقد مضي على مجلته الى الآن اثنتا عشرة سنة كاملة وهي تزداد نموًّا وانتشاراً ، وقد أنشيء على مثالها مجلة في استانة تسمى « صراط مستقيم » تركية العبارة اصلاحية المنهج حرة المنزع ، وعسى ان يكثر مثل هاتين المجلتين في سوريا والعراق والحجاز والاناضول وايران وسائر البلاد الاسلامية ، لان بانتشارها انتشار حقائق الدين وتعليم الناس دين القرآن خاليًا عن كل ما ليس منه ٠

هذا ما خطر لنا من الجواب ، فأن رأى فيه السائل كفاية فبها ونعمت والا فليكتب الينا بذلك

دروين والانسان

للسيد حسين وصفي رضا

عذيري من الانسان كم يألفُ الظلما وكم هو ميالٌ ليجترحَ الإثما(١)
أينقم من دروين أن قال إنه أخو القرد حتى ظلَّ يوسعه شتما(٢)
وما هو الا صنو سِيدٍ عملّسٍ يجوب الموامي ينفث الحقد والسُّما(٣)

(١) يجترح : يكتسب ٠ الاثم : الذنب (٢) ينقم من دروين : يعيبه وينكر عليه
(٣) الصنو : يطلق على الاخ الشقيق والابن والعم ويجمع على اصناء وصنوان ٠ السيد : =

يحنُّ الى الإيذاء في كل لحظةٍ ويحنو على شرب الدِما ولها يظما
أدروينُ قل إنَّ ابن آدم أصله ذئاب الأذى او قل هو الفتنة العظمى
يضير أباه لا الذئب وانما هي النفس أضحى كل حيٍّ لها خصما[1]
يَعيث فساداً في البلاد تلذُّذاً ويعبث بالقانون من كرهه السِّلما
فياصاحب القاموس لو كنت مُنصفاً لرمَّجت من قاموسك الرفق والنعمى[2]
وما « رحمَ الانسان يرحمُ رحمةً » سوى كلمات اثبتوا رسمها رجما
فما قيمة الأوصاف من دون اهلها ؟ وايُّ مسمًّى ليت شعري لذي الاسما ! ؟
فتباً لمن لا يرتضي غير خلةٍ يُشاركُ فيها — وهو لا يرعوي — العجما[3]
وبعداً لانسانٍ يسوم الورى اذى ويُلفى اذا لم يصنع السوء مهتما[4]
يقولون : إنسانية ! وهي كلمة تقال ابتغاء النفع والجشع الاعمى ![5]
والاّ فما سلطان قومٍ تقوّلوا اقاويلَ شتيً كان ما انتجت هضما ؟
انُطعم زقُّوماً ونمدح مَنْ اتي به ونوالي منْ يجرّعنا السمّا ؟[6]
ومن ذا يعدُّ الرقَّ عدلاً ورحمةً ؟ ومن ذا يسمي ما يضيعه غُنما ؟
ومن ذا يرى حيفاً ويسرع نحوه ؟ ومن ذا يحب الخسر حبًّا به جمًّا ؟[7]
فزخرفة الاقوال لاتخدع الفتى اذا كان ممن اوتي الحذق والحلما[8]

***

يلومون ذاك الفيلسوف لقوله ولم يرعووا عن أن يسوقوا له الذمّا
ولو فقهوا ماكان يبغي لأذعنوا وآبوا وهم لا ينقضون له حكما

= الذئب العملّس : القوي على السير والجرئ المقدام . يجوب : يقطع . الموامي : جمع موماه وهي الفلاة لا ماء فيها ولا انيس (١) يضير اباه : يضرُّ به (٢) رمّج الكتابة : افسد سطورها بوضع خطوط عليها كيلا تقرأ (٣) العجم : جمع عجماء وهي البهيمة (٤) مهتماً مغتماً يقال اهتمَّ الرجل اي اغتمَّ واما قولهم اهتمَّ بالامر فهو بمعنى اعتنى به (٥) الجشع : الحرص اشدّ الحرص وهو هنا بمعنى الطمع (٦) نوالي : نتاصر ونصادق (٧) الحيف الظلم (٨) الحلم : العقل وعدم الطيش

نلوم وكلٌّ اللوم ملتصق بنــا ونحجي ولمّاً نُنوِّتَ لبــاً ولا فهما !
ونهزأُ حتى بالعلوم واهلها ونسخر ممن صار يحتجن العلما ! (١)
يحار الحكيم النَّدْبُ في امر معشرٍ يُهــدّم ما يبني ويقلع ما أنمى ! (٢)
اذا أكتنه المرء الخفايا وما انطوت عليه البرايا ابصر الحالة الشؤمى ! (٣)
شرورٌ وآثــامٌ وثمّ مساوئٌ تضيق بها الدنيــا اذا اقترفت شؤما

سوانح وبوارح

عنوان قصيدة نظمها الشيخ محيى الدين الخياط قبيل حادثة ٣١ مارت التي خلع على اثرها السلطان عبد الحميد بيد ان ادوار تلك الحادثة ومشاغلها اذهلت الناظم عن نشرهــا حتى انه نظم بعدها قصيدة « الى رسنه » ونشرها ولم يخطر بباله ان ينشر هذه وقد تقاضيناه نشرها في هذه الايام غير مرة فوعد بان يخص بها « النبراس » وهاهو اليوم قد انجز وعده · قال :

***

بكيت ويبكيني الظعين المودّعُ وما غير ظعني يا « فروق » مودّعُ (٤)
بكيت ويبكيني الحمام المروّع وهل ياحمام الايك غيري مروّعُ (٥)
تنوح فاحنو او احنُّ فتسجع
بكيت على ماضٍ مضى وهو قاتمُ واومأت لليابان والدمع ساجم (٦)
وقلت هما الشرقان ماثمّ فاصمُ وقال بنو الغربين انك واهم (٧)
فشرقكم « ادنى » وذاك المرفّع

(١) يحتجن : يحوي (٢) الندب : السريع الى الفضائل (٣) اكتنه الشيء : ادرك كنهه وكنه الشيء حقيقته · الشؤمى : مؤنث الاشأم وهو ضد المبارك

(٤) الظعين : الراحل · الظعن : الهوادج · فروق اسم القسطنطينية (٥) الايك الشجر الكثير الملتف (٦) القاتم الشديد السواد · اومأت : اشرت (٧) فاصم فاصل

بكيت زماني بل بكيت مكانيا ومثلي من يبكي ويُبكي المغانيا (١)
بكيت على النهب المقسّم خاليا وقلت حمامَ الايك هل بك مابيا
وهل ما مضى من سالف النهب يرجع
حناناً ورفقاً يا حمام بمغرمِ تعوّد مزج الدمع ياطير بالدمِ
فهل انا يا ذا غير صبٍ متيّم وهل انت مني غير طير مرنّم
نودُّ «التئاماً» والزمان يصدّع
كلانا شَجيٌّ يا حمام مفارقُ ولكنما بيني وبينك فارقُ
فانك للإلف «الموافق» عاشقٌ وأني بالالف «المخالف» وامق (٢)
أريد اتفاقاً «والتجنس» يمنع
وقفت على «البوسفور» وقفة مُطرقِ وأومأت «للبحرين» ايماء مشفق (٣)
واحدقت «بالبرين» إحداق شيّقِ وقلت «فروق» لا تراعي وتفرقي (٤)
فلم يبق في ذا البر والبحر مطمع
«فروق» عداك البين لا تتفرّقي فليس اذا فرّقتنا بعد نلتقي (٥)
حنانيكِ يا «امّ البلاد» بما بقي فليس يفيد البين غير التفرق
وهل يا ترى عضوٌ يبين ويرجع (٦)
الا فاسمعي يا امُ مني حكايةً اذا ذكرتها النفس طارت صبابةً
أريد بذكراها أُقضي أُبانةً وأُثلج من كانون جسمي حشاشة (٧)
تضاءل عن إثلاجها اليوم مدمع

***

(١) المغاني المنازل التي رحل عنها سكانها (٢) وامق: محب مولع (٣) مشفق: خائف حذر
(٤) الروع والفرق: الفزع (٥) عداك: تجاوزك (٦) يبين: يقطع
(٧) اللبانة: الحاجه. اثلج: ابرد. تضاءل: ضعف

عَلى هضبةٍ من شرق جيرون منزلُ ... تُنيخ لديه المكرمات وتنزل (١)
وفي غربه سفح وفي السفح مغزلُ ... رؤوم على آرامها وهي هُزّل (٢)
تلاعبها طوراً وطوراً ترضع

وفي القصر من بيت الامارة عاهلُ ... «له الكون كفٌّ والانام انامل» (٣)
اذا قال فالسيف المشطّب قائل ... وليس سوى المسال للقول عامل (٤)
وليس سوى الجرّار يُصغي ويسمع

ترآءى له يوماً من القصر ربربُ ... يجدُّ بهاتيك السهوب ويلعب (٥)
ومن حوله امٌّ ترنُّ وتصخبُ ... تروح حشاها حيث راح وتذهب (٦)
وان رام يعدو اوشكت تنقطع

تشير له اياك ياريم والذُرى ... فكم لاعب فوق الذرى قد تهوّرا (٧)
واصبح محنيّ الضلوع على الثرى ... تُمزّق من اوصاله أُسدُ الشرى (٨)
وتذرو شظاياها سمومٌ وزعزع (٩)

اذا جزت هذا السفح ياريمُ فجأةً ... فان وراء السفح صخراً وهوّةً
وثمَّ شراكٌ تبتغي منك غِرّةً ... فلا تقترب واُجمز عن الصخر جمزةً (١٠)
ففي مطمئنّ الصخر ياريم مصرع

هنالك صياد لصيدك راصد ... ومنه له في كل فجٍ مراصد (١١)
وكم رشإٍ بالسفح مثلك شارد ... تصيّده قسراً وذا الصخر شاهد (١٢)

---

(١) جيرون : اسم محل والحكاية كلها تمثيل للحالة (٢) المغزل : الظبية ذات الغزال • رؤوم • حنون • الارآم • الغزلان (٣) العاهل الملك العظيم والشطر الثاني تضمين من قصيدة للناظم نفسه
(٤) المشطب الذي فيه طرائق وخطوط • المسال الرمح الشديد الاهتزاز • الجرار الجيش الكثير
(٥) الربرب القطيع من الظباء ولا واحد له ويطلق على الظبي • السهوب الاراضي الواسعة المستوية
(٦) ترن وتصخب تصوت • يعدو • يركض (٧) الذرى الاعالي (٨) الاوصال الاعضاء
(٩) تذرو تفرّق • الشظايا جمع شظية وهي فلقة العود والعظم ونحوها • السموم الريح الحارة • الزعزع الريح الشديدة (١٠) الغرة الغفلة • الجمز الاسراع الوثب (١١) الفج الطريق بين جبلين (١٢) قسراً اي قهراً

وهذا دم الغزلان يا ريم اسفع [١]

فلم يرعوِ الطياش بل راح شارداً يجوب هضابا تارةً وفدافدا [٢]

يرى هابطاً طوراً وآناء صاعدا وطوراً هوينا ثمَّ احيانَ جاهدا

ونار حنان الام للام تلذع [٣]

ولما رأه عاهل القصر مرقلا ترقَّب منه في الفلا لفتة الطَّلا [٤]

وفوَّق فيه نبلة تخرق الطُّلى فجازتْ به من ايمن النحر مقتلا [٥]

فخرَّ صريع الطيش والطيش يصرع

وكان بأعلى الهضب ليث غضنفر رأى الظبي شلو الارض فانقض يزأر [٦]

ورام امير القصر للظبي ينظر فهرول من اعلى الخورنق يحضر [٧]

ولم يدرِ ان الليث للظبي مسرع

سعى وسعى والكلُّ ساع مؤملُ وقد احدقت بالريم ثكلى تولول [٨]

تنوح فتاها الغر وهو مجندلُ وبالساق من دمّ الغرور محجل

وعيناه من فرط الغرارة تلمع

ولما رأى رب الحمى الليث قادماً تلفت مذعوراً واحجم واجما [٩]

وعاد ولكن غارماً ليس غانما يحاول ان يغزو النجوم العواتما

ويمعنُ فيما يرتئيه ويصنع

وراح يدير الرأي والرأي دائر ويستنفر الاحزاب والحزب نافر

فيا فرس الباغي بك البغي عاثر ويا ايها الطاغي الى اين سائر

وهل ملك يسري به الزيغ يرفع

---

(١) اسفع اسود محمر (٢) يجوب يقطع : الهضاب الجبال المنبسطة على الارض • الفدافد : الفلوات (٣) لذعته النار لفحته واحرقته (٤) مرقلا مسرعاً • الطلا ولد الغزال (٥) الطُّلى الاعناق (٦) الشلو العضو والاضافة لاقل ملابسة • الزئير صوت الاسد (٧) الخورنق اسم القصر • يحضر يسرع (٨) الثكلى الفاقدة ولدها (٩) واجماً ساكتاً عاجزا

دنا الليث حيث الظبي ملقى على الثرى ... فريع وهل ترتاع يا اسد الشرى
بلى أرتعت للدم المصبون تحدّرا ... فكان جُباراً اذ غدا متهورا [١]
وانت شريف النفس لاتتصنع

هو الليث لايرضى الشريدة غرّةً ... يصاد فتاها وهي توسم «حرةً»
فأرسل في تلك السباسب زأرةً ... بها اقتاد من اشبال وجرة ثَلّةً [٢]
بها ثلّ ذاك العرش فالعرش بلقع [٣]

فلا رب ذاك القصر نال مرامهُ ... ولا ذلك المغرور بلّ أوامهُ [٤]
ولكن غريب الدار قاد زمامه ... وسار به قسراً وسلّ حسامه
كذا الغرب ان لم يفهم الشرق يصنع

سفر منشئ النبراس

الى جهات فلسطين

تابع ما قبله

في نابلس(*)

ان سفري من بيروت انما كان الى نابلس اولاً و بالذات ، وقد انتدبت لهذا السفر من جمعيتنا لامر مهم فيه صلاح واصلاح ، وقد وُفّقت فيما قصدت اليه توفيقاً عظيماً ، ونجحت

(١) الجبار الدم الذي لايؤخذ بثاره (٢) السباسب الاراضي المستوية البعيدة وجرة اسم محل . الثلة بالفتح الجماعة من الحيوان وبالضم الجماعة من الانسان (٣) ثلّ هدم . بلقع اي لا أساكن فيه (٤) الاوام شدة العطش

(*) من غريب ما يروى عن تسميتها بهذا الاسم ما ذكره صاحب المعجم قال : «سئل شيخ من اهل المعرفة من اهل نابلس لِمَ سُميت بذلك فقال انه كان هنا وادٍ فيه حية قد امتنعت فيه وكانت عظيمة جداً . وكانوا يسمونها بلغتهم لُس فاحتالوا عليها حتى قتلوها وانتزعوا نابها وجاءوا بها فعلقوها على باب هذه المدينة . فقيل هذا نابُ لُس اي ناب الحية . ثم كثر استعمالها حتى كتبوها متصلة نابلس هكذا وغلب هذا الاسم عليها» هذا ما ذكره صاحب المعجم واقول : ان هذا من الخرافات فهب ان الحية سمى عندهم لُس فهل الناب وهو لفظ عربي يسمى بلغتهم كذلك ؟؟

نجاحاً باهراً ، وذلك ما دلني على ان اهل هذا البلد فيهم نفوس كريمة و رجال يريدون الاصلاح متى وجدوا اليه سبيلا ، و يحبون إنجاح بلدتهم متى كانت الوسيلة طاهرة منزّهة عن كل شائبة ، فاناأشكرهم جزيل الشكر على حسن ظنهم بي وعلى معاونتي فيما جئت بلدتهم لاجله

وقد انكر عليّ كثير من وجهاءها وسراتها نزولي في الفندق مع ان ذلك معيب في عرفهم خصوصاً اذا كان الغريب معروفاً عندهم ، وهم يعتقدون ان الفنادق عندهم انما هي للزوار الاوربيين ليس الاّ ، ولذلك لا ترى في نابلس الا فندقين احدهما الماني والثاني تابع لدير اللاتين

اما عذري في عدم قبولي النزول في دار احد فهو مقبول ، لان المهمة التي جئت لاجلها تقضي عليّ ان لا اكون ضيفاً عند احد وان اكون مع الكل خارجاً عن الكل ، وهـذا هو السبب المهم في نجاحي فيما اظن ، وقد ادركوا هذا السرّ فعذروني ، والكريم من يعذر

نابلس مدينة قديمة مشهورة بارض فلسطين وهي مستطيلة لاعرض لها واقعة في وادٍ بين جبلين شاهقين كثيرة المياه رطبة الهواء وبينهاوبين القدس عشرة فراسخ ولها كورة واسعة وعمل عظيم اكثره في الجبل الذي يلاصق القدس ، وفيها الجبل الذي تعتقد اليهود ان الذبح كان عليه على أثر رؤيا سيدنا ابراهيم المشهورة في الكتب المنزلة . ولليهود في هـذا الجبل اعتقاد عظيم ويسمونه « كرزيم » وهو مذكور في التوراة . والسمَرة تصلي اليه دون سائر اليهود . وعلى ذكر السمَرة نقول انهم فرقة من اليهود خالفوهم باشياء كثيرة منها انهم لا يتوجهون في صلواتهم الى بيت المقدس بل الى هذا الجبل . وسنكتب عنهم فصلا طويلاً في السنة الآتية . لاني اجتمعت باحبارهم في نابلس وأخذت عنهم كثيرًا من عقائدهم وخلافاتهم مع اليهود . وقد اعطوني كتاباً لهم مخطوطاً في هذا الموضوع لاستعين به على ذلك . وفي هذا الجبل عين تحت كهف يعظمونها ويزورها السمَرة . ولاجل ذلك كانت السمرة كثيرة من ذي قبل في نابلس وجبلها . اما الآن فهم لا يتجاوزون بضعاً وستين نسمة بين ذكور وأناث وكلهم يسكنون حياً واحداً من احياء نابلس . ولا يوجد في الدنيا على مذهبهم الآن . وقد اطلعوني على نسخة من التوراة اعني الاسفار الخمسة وهم لا يعتقدون بسواها كتُب سنة ٣٥٧٤ للخليقة على رقّ كتبها آبيشع بن ينحاس بن العازار بن هرون وعمره ثلاثة عشر سنة

وينسب الى نابلس جماعة من اهل العلم والادب منهم محمد بن احمد بن سهل بن نصر ابو بكر الرملي ويُعرف بابن النابلسي . وروى صاحب المعجم عن ابي ذرّ الهروي ان بني عُبيد سجنوا ابا بكر النابلسي وصلبوه في السنّة وسمعت الدارقطني يذكره ويبكي . وكان يقول وهو يُسلخ: كان ذلك في الكتاب مسطورا . وذلك سنة ٣٦٣ للهجرة . ومنهم ادريس بن يزيد ابو سليمان النابلسي سكن العراق وحكى عن ابي تمام وكان اديباً شاعراً أبيّ النفس . وقال ابو بكر الصولي:

لقيني ابو سليمان النابلسي في مِرْبَد البصرة فقلت له من أين فقال : من عند اميركم الفضل بن عباس . حجبني فقلت ابياتاً ما سمعها بعدُ مني . فقلت أنشدنيها فأنشدني :

لمّا تفكّرت في حجابكْ عاتبت نفسي على حجابكْ
فما أراها تميل طوعاً الا الى اليأس من ثوابكْ
قد وقع اليأس فاستوينا فكن كما كنت باحتجابكْ
فان تزرني أزرك أو ان تقِف ببابي أقِف ببابكْ
والله ما أنت في حسابي الا اذا كنتُ في حسابكْ

قال : وحجبني الحسن بن يوسف اليزيدي فكتبت اليه :

سأتركـكم حتى يلين حجابكم على انه لا بدّ انْ سيلينُ
خذوا حذركم من نوبة الدهر انها وان لم تكن حانت فسوف تحينُ

واكثر اهالي لواء نابلس متمذهبون بمذهب اهل الحديث اعني مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه . وعلى ذكر مذهب احمد بن حنبل اقول : ان هذا المذهب الجليل ينتشر اليوم بين الطبقة المتنورة من الامة الاسلامية وربما كان له شأن في المستقبل واتباع لا يقلّون عن اتباع اعظم المذاهب انتشارا

ونابلس اليوم لم يحدث فيها بناء جديد الا القليل مع انها قابلة لذلك . واكثر تجارتها الزيت والصابون الشهير . واهلها اذكياء نجباء . ولا عيب فيها سوى ما يحدث بين متنفذيها من البغضاء والشحناء وما يتبع ذلك من كثرة الشكاوي والدعاوي . غير اننا نأمل أن تخف وطأة هذه الامور او تمحى بالمرة بعد ان اتفق اعيانها وكبراؤها على ازالة كل شحناء من القلوب ومحو كل عداوة من الصدور . وقد احسنوا بذلك صنعاً . وسيجنون من وراء اتحادهم واتفاقهم ثمرات جنية شهية . وستكون بلدتهم بفضل هذا الاتحاد بلدة راقية زاهرة بالعلم والصناعة والزراعة فلا تكون كما هي عليه الآن متأخرة في العلوم والترقي . ولنا في همة اغنيائها اكبر كافل لبذل جزء من اموالهم في سبيل افتتاح المدارس والمستشفيات . وانشاء معاهد للزراعة والصناعة . فحرام ان يذهب ذكاء اهليها ونجابتهم سدى دون الانتفاع منها

وقد بينت لهم ذلك باجلى بيان في الخطب التي القيتها في نادي الاتحاد والترقي وفي المجتمع العام بعد صلاة الجمعة . وخصوصاً في الخطاب الذي القيته في نادي الاخاء الوطني . فقد شرحت فيه كل ما يلزم العثمانيين على العموم وما يلزمهم على الخصوص

وعلى ذكر نادي الاخاء الوطني اقول : انه نادٍ مؤلف من خيرة الشبان النابلسيين المهذبين المتعلمين . وقد انشأوه ليكون عكاظ الادب ومسرح الخطب ومنتدى التهذيب . وقد انشأوا فيه صندوقاً اقتصادياً حتى اذا صار فيه المال الكافي قاموا باعمالٍ مفيدة تعود على وطنهم بالخير

والنجاح . وفقهم الله . وبين اعضاءه كثير من اعضاء جمعيتنا الاتحادية . وناديهم ونادي جمعية الاتحاد والترقي على اتفاق تام . وهذا ما يجب ان تتنبه اليه فروع الجمعية في كل مكان

اما نادي جمعيتنا فهو نادٍ جميل حسن الموقع بديع الترتيب وفي كل ليلة يؤمه كثير من اعضاءه للمطالعة والمذاكرة عدا ايام الاجتماعات الخاصة . وقد انتظم في سلك اعضاءه كثير من وجهاء البلدة وسراتها وأدباءها . اما ما حصل في الايام الاخيرة بين بعض اعضاءه فما هو الا سحابة صيف قد انقشعت ورجع الكل اخوانا كما كانوا . وقد تحالفوا على ان يكونوا كلهم يداً واحدة في العمل

وفي نابلس مستشفى للبروتستانت يقبلون فيه المسلمين للتداوي بشرط ان يتلو الكاهن وهو الطبيب عليهم صلاة البروتستانت الدينية . والمسلمون يدخلون مستشفاهم مضطرين اذ لا مستشفى ولا طبيب عندهم . لذلك قد اهتمَّ المسلمون هناك بانشاء مستشفى وباشروا بالعمل فعسى ان يتموه في مدة قريبة بفضل اغنياءهم وما ذلك على همتهم وغيرتهم بعزيز

وفيها مدرسة اعدادية تشتمل على قسم رشدي ايضاً . وفيها مدرسة ابتدائية واحدة تضمُّ نحواً من الف تلميذ . غير ان معلميها بالنسبة الى التلاميذ قليلون لا يفون بالحاجة . ومن الغريب انه قد فُرض على مديرها ان يعلّم ثلاثة دروس كل يوم . وكان ينبغي ان لا يُشغل بالتعليم عن الادارة . لان مسالة الادارة مسئلة مهمة جداً . فعسى ان ينظر لهذا الامر والى قلة المعلمين في هذا المكتب مدير معارف بيروت الدستوري فائق بك . وعندي ان يقسم هذا المكتب الى عدة مكاتب . فان ذلك خير واولى واكثر نجاحاً . وبالاختبار يظهر صحة ما نقول

على ان هاتين المدرستين لا تقومان بحاجة البلدة . خصوصاً في هذا العصر عصر العلم والمعارف عصر الحرية والدستور . فعسى ان تكثر المدارس الاهلية الابتدائية . وعسى ان يقوم أغنياؤها واعيانها باحداث مدرسة راقية يجنون من وراءها ثمرات شهية

وفي شرقي نابلس في حي السمرة مسجد يصاقبه مكان قديم لم يبق في ذهني ان كان بناءً مرصوفاً بالحجارة أو منحوتاً في صخر . ويقال له مكان الحزن . ويقال انه المكان الذي ابيضّت فيه عينا يعقوب من الحزن على يوسف عليهما السلام والله أعلم بالحقيقة

وفيها عدة مساجد ومسجد جامع عظيم كان قد تهدم القسم الاعظم منه فبنوه على الطراز الحديث غير انه قد بقي قسم منه على القواعد القديمة . لهذا ترى المسجد على شكلين مختلفين . وقد كان القصد بناء الكل على شكل واحد لولا معارضة بعض البعض . فعسى ان يقلع هؤلاء على افكارهم ليكون الجامع كله على هيئة واحدة

***

وبعد ان بت فيها اربع ليال دعيت من طرف الجمعية فيها للذهاب الى مركز ناحية « جماعين » وهو « سلفيت » مع مبعوث اللواء فضيلة احمد افندي الجلاش وأحد اعيانها رامز آغا النمر والبكباشي عبدي افندي والملازم فلان افندي « وقد نسيت اسمه » وذلك لاجل افهام اهل القرى حقوقهم وحقوق الحكومة وشرح معنى الحرية والدستور ليكونوا على بينة من امرهم فلا يظلمون ولا يَظلمون . وكانت الحكومة قد ارسلت رسلاً من الجاندرمة تدعو اهل القرى المجاورة لتحضر الى « سلفيت » مركز مديرية « جماعين »

أما انا فقد سبقتهم الى مكان القصد مع مدير الناحية صديقي محمد نديم بك ابن حسين بك الجوهري من اعيان صيدا . وسرنا فرساناً يصحبنا نفر من رجال الشحنة « الجاندرمة » بعد غروب شمس الجمعة في الثامن من شوال . ولم نكد نبتعد مسافة ربع ساعة حتى ابتدأ الطل « المطر الضعيف » وكنا قد أخذنا لمثل هذا الامر عدته . ثم انهمر المطر انهماراً يصحبه برق ورعد وبرد . فلم تغن عنا عدتنا شيئاً مذكورا . وما زلنا سائرين تارة في الارتفاع وطوراً في انخفاض والطريق اكثرها عقبات كؤودات الى ان وصلنا الى قرية في منتصف الطريق تسمى « ياسوف » ولعلها سميت باسم يوسف بن يعقوب عليهما السلام . وقبل ان نصل اليها بنصف ساعة وبضع دقائق ضحكت السماء لنا بعد ان بكت على حالة فلاحي تلك الديار بكاء شديداً . فلما وصلنا الى هذه القرية في الساعة الرابعة من بعد الغروب عزمنا على المبيت فيها طلباً للراحة ولتجفيف الثياب . وهي قرية واقعة على ربوة جميلة فبتنا فيها ليلتنا . ثم سرنا منها صباح السبت فوصلنا الى سلفيت بعد ساعتين من مسيرنا . وعند ظهر اليوم اقبل المبعوث ومن معه وحلوا ضيوفاً في دار « عفاني » وجيه القرية

وكانت اهالي القرى تفد على سلفيت زرافات زرافات الى ان تكامل جمعهم في دار الحكومة ثم وقف فيهم المبعوث وتلا عليهم شيئاً كان قد اعده وشرح لهم معنى الحرية والقانون الاساسي وابان لهم ان سعادتهم الحق لا تكون باتفاقهم واتحادهم . فلما اتم ما اراد دعيت للكلام . فخاطبت اولئك الفلاحين شارحاً لهم بعض ما لم يفهموه من كلام المبعوث . ثم تعرضت للكثير من العادات السيئة التي اعتادوا عليها من الدعاوي الباطلة وشهادة الزور والسعي باضرار بعضهم بعضاً لامور تافهة وحذرتهم من ذلك كله وخوفتهم عاقبته القانونية والدينية . الى غير ذلك من الموضوعات الكثيرة التي تعرضت له في خطابي

ثم انفض الجمع وذهب كل في سبيله . وجاء وجهاء القرية والقرى يشكون الى المبعوث ظلم المتنفذين وعدم اهتمام الحكومة . وقد ظهر من مجموع كلامهم ان سبب كل هذه الاختلافات والمشاحنات هي الاعشار . و رجوه بان يطلب في المجلس الغاء الاعشار ومسح الاراضي لان

ذلك اصلح للفلاح واربح للحكومة

وقد بتُّ فيها ليلة واحدة ، ثم سرت منها بعد ظهر الاحد قاصداً الى نابلس فاصحبني مدير الناحية بنفر من رجال الشحنة « الجاندرمة » فوصلت اليها مع غروب الشمس . اما المبعوث ومن معه فقد بقوا الى صباح الاثنين ليتموا ما قصدوا اليه ، لانهم عزموا على ان يذهبوا الى مركز آخر بعيد عنه عُين لاجتماع اهالي القرى المجاورة له للغاية نفسها ، وقد طلبوا مني ان اكون معهم فاعتذرت لان ليلة الاثنين كانت موعداً لاجراء الصلح الذي جئت لاجله .

وفي سلفيت دور عظيمة كثيرة خالية من السكان وهي حسنة البناء قلّ ان يوجد لها مثل في نابلس ، وقد بناها اصحابها يوم كانت سلفيت مركز قضاء لسكنى المامورين ، ثم لما أُبطل القضاء واصبحت مركز مدير صارت مهملة وربما تُباع البناية العظيمة اليوم بما كانت تؤجَّر به بالامس او أقلّ من ذلك

قلنا ان الناحية تسمى بناحية جماعين غير ان المركز هو في سلفيت ، وعلى ذكر جماعين اقول : ان لفظها الصحيح هو « جَمّاعيل » باللام لا بالنون ولفظه بالنون هو تحريف درج عليه العرف . قال صاحب المعجم : « جماعيل بالفتح وتشديد الميم وعين مهملة مكسورة وياء ساكنة ولام : قرية في جبل نابلس من ارض فلسطين منها الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور ابن نافع بن حسن بن جعفر المقدسي ابو محمد انتسب الى بيت المقدس لقرب جَمّاعيل منها ولأن نابلس واعمالها جميعاً من مضافات البيت المقدس ، وبينهما « اي بين جماعيل والقدس » مسيرة يوم واحد ، الى أن قال : ومنها ايضاً الشيخ الزاهد الفقيه موفق الدين ابو محمد عبدالله بن احمد ابن احمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر الجماعيلي المقدسي » اه

أقول : وقد خرج من جبل نابلس خلق كثير من أهل العلم والادب والدراية وقد تكفّلت بذكر اسمائهم كتب التراجم

العود الى نابلس : لما رجعت من سلفيت الى نابلس جئت الى النادي في الوقت المضروب وكان الاعضاء قد حضروا ، وهناك تصافحت القلوب ورجعت المياه الى مجاريها ، ثم طلبت من القاضي ان يتكلم بعض كلمات فاجاب ووقف بينهم متكلماً باللغة التركية . ثم وقفتُ والقيت خطاباً وجيزاً ولم أتمكن من التطويل كما كانوا ينتظرون لمرضٍ كان قد ألمّ بي . وقد اعتذرت لهم فعذروني

***

مسألة المسائل قبل ان نبرح من نابلس لابدّ من كلام وجيز عن مسألة هي مسألة المسائل . الا وهي « الاعشار » تلك المسألة التي تسبب الضغائن بين الاهلين وخصوصاً الاعيان منهم في كثير من البلاد العثمانية خصوصاً في لواء نابلس . فما دامت الاعشار تدوم الضغائن ودعاوي

التزوير ووقوع القتلى . لانها الداء العضال والمسألة العظمى التي ينتج عنها كل ما هو جار ويجري في تلك البلاد

ان اكثر الدعاوي التي ترد الى محاكم نابلس هي دعاو باطلة لا اصل لها . واليك البيان :

ان التنافس لاجل ضمان الاعشار عظيم بين المتنفذين والاعيان . وفي كل قرية احزاب كثيرة تنتمي الى عين من الاعيان . وكل ضامن يريد ان يأخذ من الفلاحين فوق ما فرض القانون . فان امتنع احد من اعطاء الضامن ما يريد سلّط عليه اعوانه ورفع عليه دعوى ذات جناية لا اصل لها . فيضطر الفلاح بواسطة الوجيه المنتسب اليه ان يقابل المدعي بدعوى باطلة تضاهي دعواه . ولا تسأل اذ ذاك عن المال الذي يتقاضى من ذلك الفلاح المسكين . فمتى علم المدعي الاول بذلك يسعى لاسقاط دعواه في مقابلة اسقاط دعوى الآخر ، وهكذا ....

والويل للفلاح المظلوم ان شكا الى الحكومة امره واظهر ان الضامن يريد أخذ شيء زائد عما هو له . فان ذلك الضامن يقيم دعوى جناية تزويرية على الفلاح فيضطر الفلاح المسكين ان يسقط دعواه في مقابلة اسقاط الضامن دعواه وان يرضيه بمال معلوم

وهناك امر اعظم ومسالة ادهى وأمرّ . وهو انهم ربما توصلوا الى غاياتهم بقتل قريب من أقربائهم أخا كان او ابن عم . وهناك ياتون بشهود الزور يشهدون ان فلاناً الوجيه او الفلاح قتله . ويعملون ذلك العمل الوحشي للانتقام ممن هو معاكس لهم . وان ما أقصّه ليس بالاحلام او الاوهام . وانما هو امر واحد من أمور تكاد لا تحصي ومن يبحث يعلم صحة ما اقول

ألا وان السبب في كل ذلك هو المنافسة في ضمان الاعشار . فلو مسحت الدولة الاراضي وجعلت على كل ارض ضريبة مناسبة حسب ماتنتجه من الزرع تكون قد أحسنت بذلك صنعاً وكفت الفلاح ظلم الضامن . واراحت الاهلين من الشقاء والبلاء بسبب دعاوي التزوير التي ستكون سبب خراب البلاد ان بقيت الحال على ما هي عليه الآن . فعسى ان يسمع صوتنا من بايديهم الحلّ والربط

هذا ما اردت ايراده بالاختصار عن مسألة المسائل . مسألة الاعشار

***

السفر من نابلس : وقد بتُّ فيها بعد العود اليها من سلفيت ليلتين . ثم ركبت منها العربة قُبيل فجر الثلاثاء في ١٢ من شوال قاصداً الى حيفا فمررنا بعدة قرى حتى وصلنا الى (طول كرم) ويقال ان لفظها الحقيقي «طور كرم» بالراء لا باللام وهو أقرب الى الحقيقة . وهي قرية كبيرة مبنية على هضبة . وفيها سوق واحد . وهي مركز قضاء . وقد لبثنا فيها ثلاث ساعات ونصفاً ريثما ارتاحت خيول العربة . ثم سرنا في طريق مخططة الا أنها غير مخصّبة . وهذه

الطريق تمتدُّ من « طول كرم » الى حيفا وقد خطّطت يوم جاء غليوم الثاني امبراطور ألمانيا الى هذه الديار . وما زلنا نسير حتى بلغنا « زمارين » قبل غروب الشمس بساعتين

في زمارين : زمارين مدينة صغيرة مبنية على ربوة جميلة الموقع مطلة من الجهة الغربية على البحر . وربما بعد عنها نحو من ساعتين وكانت زمارين في الاصل قرية حقيرة كسائر القرى . الا انها الآن صارت بلدة راقية بالعمران والزراعة . وفيها دور وقصور لطيفة البناء حسنة الهندسة . وكل سكانها من اليهود الاجانب النازحين اليها عن بلادهم . وما فيها من المسلمين الا قليل لا يملكون شيئاً وحرفتهم حراسة البيوت والحوانيت والزرع

وسبب ذلك انه لما كثر المهاجرون من اليهود الى البلاد العثمانية وكانوا فقراء لا يملكون شيئاً هاجت الحمية الملية في نفس « روتشلد » المثري اليهودي الشهير فابتاع قرية زمارين من اهاليها وهدمها كلها حتى جعلها قاعاً صفصفاً وبناها على الطراز الحديث . واسكن فيها كثيراً من النازحين من بني ملته واقطعهم الاراضي والبنيان . فصارت القرية مدينة صغيرة يقصدها الناس لرؤيتها والتمتع بحسن مناظرها وابنيتها . واكثر اهاليها يشتغلون بالزراعة وهي موردهم العظيم . ومنهم من حرفته البيع والشراء وهم الاقلون

وجميع ما في هذه البلدة من البنيان هو على شكل واحد . وفيها شارعان مهمان احدهما يخترق البلدة من الجنوب الى الشمال والآخر يخترقها من الشرق الى الغرب

وفيها مدرسة راقية وبيعة لصلواتهم

والاحرى بهذه البلدة ان تسمى مدينة السلام لانك لا تسمع فيها ضوضاء ولا ترى غوغاء . ويبيت اهلها آمنين مفتحي الابواب . ولهم ثقة عظيمة بحرّاسهم . فهم يؤمنونهم على كل شيء . وقد بتنا في هذه البلدة ليلة واحدة

ثم سرنا منها صباح الاربعاء في ١٣ من شوال قاصدين الى حيفا . ولم نكد نبعد عن زمارين نحواً من نصف ساعة حتى انهمرت الامطار انهاراً عظيماً دام متواصلاً حتى وصلنا الى حيفا بعد ست ساعات من مسيرنا من زمارين . وقد مررنا في طريقنا بعدة قرى ومزارع

في حيفا : حيفا بلد ساحلي قد اخذ باسباب الرقي منذ مدة غير بعيدة . وهو منقسم الى البلد القديم وفيه التجارة والصناعة . والى البلد الحديث . والبلد الحديث قسمان قسم غربي وقسم شرقي . فالغربي يسمى المحلة الالمانية لان طائفة من الالمان هي التي بنتها على طراز بديع جداً تخترقها الشوارع المنظمة وفيها الحدائق الغناء وهي اشبه بزمارين من حيث هندسة البناء وحسنه . الا ان زمارين قلَّ ان يوجد فيها بناء ذو طبقتين . والقسم الشرقي فيه ابنية ودور وحوانيت الا انه لا يقاس بالابنية الالمانية هندسةً ورونقاً واتقاناً . وفي منتهى هذا القسم محطة السكة

الحديدية الحجازية

قال صاحب المعجم : « حيفا غير ممدود : حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا ولم يزل في ايدي المسلمين الى ان تغلب عليه كندفري الذي ملك بيت المقدس في سنة ٤٩٤ هـ وبقي في أيديهم الى ان فتحه صلاح الدين بن يوسف في سنة ٥٧٣ هـ وخربه . وفي تاريخ دمشق : ابراهيم بن محمد بن عبد الرزاق ابو طاهر الحيفي من أهل قصر حيفة سمع بأطرابلس ابا يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني وابا الوفاء سعد بن علي بن محمد بن احمد الآسوري وحدث بصور سنة ٤٨٦ هـ سمع منه غيث بن علي وابو الفضل احمد بن الحسين بن نبت الكاملي »

وحالة حيفا العلمية اليوم احسن منها من ذي قبل فان فيها مطبعة وجريدة ومجلة تسمى « النفائس العصرية » لمنشئها خليل افندي بيدس وقد اجتازت السنة الاولى ودخلت في سنتها الثانية وفيها موضوعات ومباحث لطيفة

وفي حيفا ناد حسن للاتحاد والترقي غير اني لم اعلم عن حالته شيئاً ولم اسمع من احد شكوى على اعضاءه وقد زرته ليلاً . فلم يكن فيه احد

***

محطة السكة الحجازية فيها : هي محطة عظيمة منظمة . وفيها البنايات الفخمة والآلات الكثيرة . ولكن ويا للاسف انها مهملة غير معتنى بها فمن رأى هذه المحطة بكى دماً على الاموال التي صرفت لاجلها ولاجل هذه السكة التي عششت فيها عناكب الاهمال . وافسدتها ايدي سفهاء الرجال . فكم من آلات في هذه المحطة ملقاة لا يؤبه بها وكم من حديد للخطوط يأكلها الصدأ . ولو كانت اعمالها تدار بايدي قوم أمناء ذوي غيرة واصحاب وجدان لرأيتها على غير ما هي عليه اليوم . وعندي كما عند كل من يريد اصلاح هذه السكة ان تعطى لشركة اجنبية تدير اعمالها في مقابل مال يدفع للدولة على شرط ان يكون عمالها في الاراضي المقدسة التي لا يتمكن غير المسلم من الدخول اليها مسلمين . او تعطى لشركة عثمانية قادرة على ادارتها بالشرط نفسه وبذلك تنجح وترقى هذه السكة التي صرفت لاجلها الأمة اموالاً لا تحصى وكان اكثرما ورد لاجلها طعمة لارباب الفساد والظالمين من رجال الدور الغابر . وبذلك ايضاً تريح الدولة الحجاج والركاب واصحاب المشحونات من العناء والعذاب والاضطهاد واستبداد العمال بهم ان الاهمال في هذه السكة بالغ حده . واني اورد على ذلك مثالاً واحداً من امثلة كثيرة :

حدثني بعض الحيفيين الثقة قال : جاء ثلاثة من تجار دمشق الى حيفا للاتفاق مع مدير السكة ليشحنوا ثلاثين الف طن اي ١٢٠ الف قنطار من دمشق الى حيفا فلم يعبأ بهم فحاولوه وافهموه ان في ذلك اجرة لا تقل عن ستين الف ليرة عثمانية فلم يفهم ولم يفلحوا في اقناعه فرجعوا الى

دمشق يائسين وخابروا مدير السكة الفرنساوية في دمشق ليرسلوا بضائعهم الى بيروت فاهتمَّ بالامر وخابر مدير هذه السكة في بيروت وهذا خابر مركز الشركة في باريس على لسان البرق فارسل المركز اثنين من باريس الى دمشق للاتفاق مع الطالبين . وهكذا قد تمَّ الاتفاق وربحت السكة الفرنساوية ستين الف ليرة خسرتها السكة الحجازية العثمانية ٠٠٠

ومن غريب امر سكة حيفا انها لا تقبض الريال المجيدي الا بثمانية عشر قرشاً ونصف قرش فليعتبر بذلك القائمون الهائجون على شركة المرفأ في بيروت لانها تقبض الريال المجيدي بهذه القيمة لا بقيمة تسعة عشر قرشاً ٠٠٠٠٠٠

وقد كنا كتبنا عن السكة الحجازية مقالة حافلة نشرناها في عدد من اعداد جريدة الاتحاد العثماني غير اننا لا نتذكر في اي عدد نشرت لنوجه اليها الانظار

وقد كان بودي ان اسافر من حيفا الى دمشق في هذه السكة لاكتب شيئاً جديداً زائداً عما اعلم ولكن حال دون ذلك سببان : طول الغياب عن بيروت واجبار صديق لي ان ارجع الى بيروت معه في البحر

***

الرجوع الى بيروت

وقد بقيت في حيفا بقية نهار الاربعاء وليلة الخميس ونهاره . ثم ركبنا الزورق بعد الغروب لاننا أُخبرنا ان الباخرة التي سنسافر فيها وهي الفرنساوية تقلع منتصف الليل . غير ان الخبر لم يصدُق . لذلك بتنا ليلة الجمعة في الباخرة وبقيت راسية الى قبيل الظهر ثم اقلعت قاصدة الى عكاء فوصلت الى ميناءها بعد نصف ساعة من مسيرها . لان عكاء قريبة من حيفا والمسافة بينهما بسير العربات ساعة ونصف

وحين وصول الباخرة اليها كنت مستلقياً على سرير من سُرُر الباخرة المعدّة للنوم لان رأسي كان دائراً فجاءني ذلك الصديق لانزل معه الى عكاء فاعتذرت له بالدُّوار فابى فاطعته وقمت فلما كنا في اسفل مرقاة من سلّم الباخرة رأى هياج البحر فخاف فرجع متقهقراً فالححت عليه بالنزول كما الحَّ عليَّ بالقيام فلم يقبل . فقلت له : لا تكن متقهقراً بعد الاقدام . فقال : حبذا التقهقر في مثل هذا المقام ٠٠ وكان رجوعه سبب عدم النزول الى عكاء ومشاهدة حالتها وما هي عليه

***

ثم اقلعت الباخرة من مياه عكا قاصدة الى بيروت قبل منتصف الليل فوصلنا اليها صباح السبت في ١٦ من شوال عندما ذرَّ قرن الغزالة فنزلنا الزورق وصعدنا البر وشاهدنا الاهل والاصدقاء غير اني قد جئت فالفيت الاشغال متراكمة وهذا هو السبب الذي اضطرني لتاخير عددي شوال وذي القعدة واصدارها معاً في ذي القعدة فمعذرة الى القراء الكرام

هجعات الامة و يقظاتها

او

روح الاجتماع و سر تقدم الانكليز السكسونيين

للامم كما للأفراد هجعات ويقظات ، فتارة تتغلب عليها الاولى فتُخملها ، وطوراً تهيجها الاخرى فتنبهها ، وقد كان هذان العاملان ولم يزالا في تنازع وخصام ، ولم يكن قط ولا يكون بينهما سكينة وسلام ، ذلك لانهما ضدان ، والضدان لا يجتمعان . وان لهذه الغلبة اسباباً وعللاً ربما اختلفت من حيث الظاهر ولكنها متفقة من حيث الحقيقة ، اذ انها تنتج نتاجاً واحداً هو تنبيه الامة او إخمالها ، وقد يختلف التنبيه والإخمال قوة وضعفاً باختلاف اسبابهما المؤثرة في نفوس الامم التي انتشرت فيها تلك العلل والاسباب

اما الاسباب التي تجعل الامة خاملة متقهقرة ساقطة فهي كثيرة — منها جمود كثير من علماء الاديان ووقوفهم سداً منيعاً امام تيار الامة المندفعة الى التقدم لتكون من كبريات الامم الحية ، وهناك يتخذون الدين وسيلة وشراكاً يصطادون بها عقول العامة ليرجعوهم عن نصرة المصلحين ومتابعة علماء الكون والاجتماع ، فيكفّرون ويفسّقون ، ويحللون ويحرّمون ، وربما دماء الابرار يبيحون ، وماذلك الا نتيجة جهلهم لو كانوا يعلمون

ومنها استبداد الرؤساء وارباب النفوذ ، وظلم الحكام واضطهادهم من يريد ان ينهض بالامة من دركات السفالة وهُوى الجهل واخاديد الخمول

وهناك اسباب أُخر لا يسع المقام ذكرها — وهي مع ما تقدم من الاسباب تُخمل الامة وتسوقها الى مجازر الهوان والتأخر ، وتلك هي حالة الامة في هجعاتها ، وهذه هي الاسباب التي تجعلها اسيرتها

وأما حالتها في يقظاتها فهي على غير ما تقدم ، لانها تكون اذ ذاك امة رفيعة الشأن سامية المقام جَهْوَرية الصوت ممتدة السلطة عزيزة الجانب منيعة الحمى ، ولا

تكون على تلك الحالة الاّ اذا تقدمها اسباب توصلها الى الغاية التي ذكرناها ، وتلك الاسباب هي اضداد الاسباب في علل هجعاتها

ان هذه الاسباب كثيرة ايضاً — منها نبوغ افراد في الامة يؤلمهم بقاء امتهم في حال الجهل والخمول والسقوط فيبثون في الامة روح الهمة والنفرة من الحالة الحاضرة حتى اذا تهيأ لهم ما ارادوا حملوا على الحكومة ورجال الاستبداد من العظماء وارباب النفوذ حتى يتمّ لهم ما قصدوه من ازالة البرازخ التي كانت تحول دون ترقي الامة

ومتى تمّ لهم ذلك فيدركون انهم قد اجتازوا في سبيل الاصلاح عقبة ليست بشيء بالنسبة لما سيعترضهم من العقبات ، لان ازالة الظلم والاستبداد لا تكفي في رفع الامة اذا بقيت جاهلة خاملة ، فان جهل الامة اشدّ وطأة من ظلم الحكومة ، وان خمولها عقبة كؤود في سبيل جعلها امة حية يشار اليها بالبنان ، وهذه العقبة هي اشدّ اعتراضاً من عقبات المستبدين ورجال الدين الجامدين

ومتى ادرك النابغون من الامة ذلك يفكّرون في الوسائل التي تزيل حجاب الخمول والجهل عن الامة ، ولا وسيلة اعظم من انتشار الجرائد الحرة الصادقة التي لا تبيع الشرف والوجدان تلقاء دريهمات يأكلها اصحابها ظلماً وسحتاً ، ومن ذلك ايضاً انتشار الكتب النافعة بين طبقات الامة ، وربما كان لها في بعض الاحايين تأثير عظيم اشد من تأثير الجرائد

وقد ادرك هذا السرّ علماء اوربا فانهم ألّفوا لاقوامهم كتباً كانت سبب رقيهم في معارج المدنية واخذهم باسباب النهوض الى ذرى المجد

والمؤلفات الاوربية في تلك الموضوعات كثيرة جدًّا وقد تُرجم بعضها باللغة العربية ، ومن خير ما ترجم كتابان جليلان ترجمها عن الفرنساوية احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية « العدلية » المصرية ، وهما الكتابان اللذان بين يديّ الآن ، واللذان لاجلها كتبتُ هذا المقال

الكتاب الاول « روح الاجتماع » تأليف « الدكتور جوستاف لو بون » والكتاب الثاني « سر تقدم الانكليز السكسونيين » تأليف « ادمون ديمولان » وقد كان لهذين الكتابين يوم نشرهما في فرانسا حركة عظيمة اعقبها تغيير عظيم في نظام الاجتماع والعمران لانهما مشتملان على كل نفيس وكل معنى سامٍ يودع في الامة روح النشاط وبذل الجهد لمجاراة الامم التي قد سبقتها

يشتمل الاول على موضوعات سامية في علم الاجتماع ومباحث في كيفية تكون الجماعات ومشاعرها واخلاقها وافكارها ، ومن رأيه في افكار الجماعات انها تكون في اكثر الاوقات احطّ من فكر الفرد مع ان هذا الفرد يكون احد افراد تلك الجماعة ومع ذلك فتعمل الجماعة ما لا يعمله الفرد مهما كان عقله سامياً ، واستشهد لذلك بعدة شواهد ، ومن رأيه ان الفرد يسقط درجات من سليم المدنية بمجرّد انضمامه الى الجماعة وان كان في نفسه رجلاً متثقف العقل مهذب الاخلاق ولكنه في الجماعة ساذج تابع للغريزة — ولا يقصد المؤلف من ذلك ان يسقط من قيمة الجماعة ، بل ليبين السرّ في ان المرء يكون مستقلّ الفكر منفرداً لا يخضع الا لما يوحيه اليه فكره ، فاذا انضمّ الى الجماعة أثرت فيه هيبتها فخضع لحكم المجموع ، مع ان الجماعة اذا انفردت كثيراً ما تكون افكارها متضاربة متخالفة ، ولكنّ افرادها عند الاجتماع ينقادون الى حكم واحد ، لانهم اذ ذاك يتجرّدون عن كل غاية وكل استبدادٍ بالرأي

وفي « روح الاجتماع » كثير من الموضوعات والمباحث فنوجه اليه همم ارباب العقول

ويشتمل الكتاب الثاني على الاسباب التي رقي بسببها الانكليز السكسونيون من حيث المدارس والتربية وتنمية الثروة وطرائق المعيشة الخاصة والعامة والسياسية وغير ذلك ، والذي دعاه الى تأليف هذا الكتاب هو انه رأى قومه الفرنساويين متأخرين عن الانكليز فبحث عن الاسباب التي اخرت الفرنساويين والاسباب التي دفعت الانكليز للامام واودع كل ذلك في هذا الكتاب ليبين لبني قومه عيوبهم ونقصهم وسبب داءهم

ويظهر لهم كيف ترقى غيرهم وما هي الاسباب التي جعلتهم يترقون

ولمعرّب الكتاب مقدمة نفيسة لا تقل عن الكتاب اهمية جديرة بالمطالعة

والكتابان مطبوعان في مطبعة الشعب في مصر طبعاً جيداً على ورق ابيض صقيل غاية في الجودة ، ويشتمل الاول على ٢٨٢ صفحة ، والثاني على ٣٦٥ وثمن كل واحد منهما في بيروت ريال مجيدي الى غرة العام الهجري المقبل ثم يكون ثمنه ريالاً مجيدياً وربع ريال وهما يطلبان من المكتبة الاهلية الشهيرة في بيروت

والكتابان قد اهدانا اياهما طابعهما خليل افندي صادق صاحب مجلة مسامرات الشعب الشهيرة فنشكره على هديته ونحث كل عثماني على مطالعة الكتابين فانهما من خير ما يبثُّ الروح العالية والهمة القعساء في النفوس

جرائد وكتب جديدة

حمص : صدرت في مدينة حمص جريدة اسبوعية باسمها لصاحب امتيازها صديقنا المطران اثناسيوس عطا الله وفي ذكر اسمه كفاية للدلالة على فضله وحبه للاتحاد وميله للسلم حتى صار يضرب فيه المثل في حمص . ولذلك قد جرّد جريدته عن المباحث الدينية التي توقع الخلاف بين الطوائف ونعما فعل . ويحرر الجريدة صديقنا قسطنين افندي يني . ويديرها كامل افندي لوقا . وقد صدر منها الى الآن بضعة اعداد تحوي مباحث لطيفة وموضوعات مفيدة . و بدل اشتراكها في حمص ريال مجيدي ونصف . وفي الممالك العثمانية ريالان مجيديان وفي الخارج عشرة فرنكات

الامة : علم قراء النبراس ما اصاب صاحب المقتبس من الظلم وما اقصده من سهام التجسس فكان ذلك سبب احتجاب جريدته عن قراءها (١) غير ان همة اخيه احمد افندي دفعته الى اصدار جريدة يومية باسم الامة فاصدرها من امدٍ غير بعيد لتنوب مناب المقتبس وترمي اهل الرجعى والحزبيان بالسهام التي كان يرميهم بها شقيقها المقتبس . وجعل بدل اشتراكها في دمشق اربعة ريالات مجيدية وفي البلاد العثمانية ليرة عثمانية وفي الخارج خمسة وعشرين فرنكاً . وهي كالمقتبس حجماً وشكلاً وموضوعاً

زهور : جريدة اسبوعية تصدر عن بغداد باللغتين التركية والعربية . مديرها المسؤول . ن . يوسف ويحرر القسم العربي منها رشيد افندي الصفار الذي كان يحرر جريدة بغداد المحتجبة وهو من ارباب الغيرة والنهضة في بغداد . فعسى ان تكون هذه الجريدة مع سائر رصيفاتها في العراق واسطة لانهاضه وارجاع سابق عزه

---

(١) صاحب المقتبس قد هاجر بر الشام الى مصر خفية ومنها سافر الى باريس وهو اليوم فيها

صراط مستقيم : مجلة اسبوعية فلسفية ادبية دينية اجتماعية تصدر في استانة في ستة عشر صفحة كبيرة وهي كمجلة المنار التي تصدر في مصر من حيث الموضوعات والسعي في سبيل الاصلاح الديني والمدني وهي حسنة من حسنات الدستور . مؤسساها ابو العلاء زين العابدين افندي و مح . اشرف اديب افندي . ويحررها نخبة من كتاب الاتراك المجيدين . وبدل اشتراكها السنوي في الممالك العثمانية ٨٠ قرشاً صحيحاً (صاغاً) وفي الخارج ١٧ فرنكاً

يومية الاحوال . اصدرت ادارة جريدة الاحوال يوميتها المشهورة لسنة ١٩١٠ القادمة . وقد جعلتها هدية للمشتركين ولغيرهم في مقابل ثلاثة بشالك وهي بشكل كتاب يساعد التاجر والعامل وربات المنازل على تقييد ما يلزمهن من الحاجات في كل يوم من ايام السنة . فنحث على اقتناءها كما نرجو من الادارة ان تجعلها في السنة القادمة حسب حاجة البلاد من جعل مبدإها الى الجهة اليمنى دون اليسرى فذلك فيه احتفاظ بالعادات وتسهيل على اكثر الناس

التوسل والوسيلة . تأليف الامام المصلح شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيميه الحنبلي رضي الله عنه وقد صحح اصله وعلق عليه بعض الحواشي السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار . وفيه بحث مستفيض عن هذه المسألة التي اخذت اهمية كبرى بين علماء المسلمين . وقد طبع في مطبعة المنار في مصر على نفقة الشركة الخيرية لطبع الكتب الاسلامية العالية في جدة . وهو يطلب من مكتبة المنار في مصر . وثمنه سبعة قروش صحيحة مصرية عدا اجرة البريد

تاريخ نابوليون الاول « بونابرت » . اهدتنا ادارة مكتبة الآداب لصاحبها امين افندي الخوري هذا الكتاب النفيس المشتمل على تاريخ حياة ذلك الرجل الشهير وهو يحوي زهاء ٥٠٠ صفحة . وقد تصفحناه فاذا هو جدير بالمطالعه وثمنه خمسة فرنكات ويطلب من مكتبة الآداب . وقد اهدتنا ايضاً رواية نابليون وهي رواية تمثيلية بقلم صاحب هذه المكتبة وثمنها ستة قروش



حديث

هاشم بن يحيى

او

شقاء الشبان

بقالب رواية خيالية اخلاقية تهذيبية ادبية تأليف منشيء « النبراس »

تابع حديث الجلسة الثالثة

قال الشاب : فتجاهلت امام الطبيب وقلت له : ما هو اللواط الذي تعنيه ووصفت من هوله ما وصفت ؟

الطبيب : – الا تعرفه ؟ هو اتيان الرجال شهوةً من دون النساء . هو فعل قوم لوط .

وقد ذمهم الله في القرآن ألم تسمع قوله تعالى : « ولوطاً اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها احد من العالمين . انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون . وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون . فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين . وامطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين »

الشاب : — بلى اعرفه وقد اقترفت هذا المنكر

الطبيب : — حسبك يابني فدعه واياك ان تعود اليه او للعادة السرية فيمسك مرض اليم لا يمكنك ان تتفصّى منه

الشاب : لا اقدر على ذلك وقد اعتدت هذين الامرين حتى صارا عادتين لازمتين لا استطيع التحول عنهما

الطبيب — : يا ولدي ان العاقل لا تحكم عليه عادة ولا تقسره على شيء ، فلو استعاد من الاشياء ما تأصل فيه فيمكنه ابطاله والابتعاد عنه . وان الله تعالى اعطى الانسان هذا العقل الذي هو الجزء الاختياري ليميز الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله بمعزل ويجعل نفسه بمنجاة عنه خشية ان يمسه طائفه فيهوي به في الحضيض ، فايما انسان كانت له ارادة قوية فهو يستطيع بها ان يترك اجلَّ المشتهيات عنده ، بل بامكانه ان يمتنع عن مقوّمات حياته وهما الطعام والشراب ، ولو ادّى به ذلك الى الخراب وازهاق الروح ، فالانسان يقدر ان يعمل كل شيء من خير او شر ، غير انه ان صرف ذكاءه وعقله الى الخير استعاد ذلك وان صرفها الى الشر اعتاده وصار ضريبة له وخُلقاً واني لاضرب لك مثلاً على ذلك المسكرات او الدخان او الحشيش ، فان من تعود شيئاً منها لا يستطيع التحول عن تعاطيه وان امتنع عنه يوماً واحداً اصابه مسٌ من التهيج والحمق الشديد وسوء الخلق ولا يهدأ روعه ولا يسكن غضبه الا برجوعه اليه وتناول سمومه ، أفترى ان من اعتاد ذلك لايمكنه الاستغناء عنه ؟ بلى فانه متى ضبط نفسه مدة من الزمن واحتمل مشقة بضعة ايام بمقاومة ميله وارادته فلا يلبث ان ينساه ويكره ان يعود اليه كما يكره ان يقذف في النار ، اللهم ان كان له عقل او القى السمع وهو شهيد لان تركه اياه يصير عادة له فيصعب عليه الاقلاع عنها كما كان فعلهُ عادة وكان يستصعب نبذها

أفترى يا بنيّ انك لو اردت ان تسلك ارضاً فنصحوا لك ان لا تمرّ بها لان فيها ماسدة او مذأبة فهل تدخلها بعد ما سمعت ذلك ؟

الشاب — : لا

الطبيب — : ولِمَ ؟

الشاب — : خوفاً من اسودها او ذئابها ان تودي بحياتي

الطبيب — : وانت لم تعلم ان فيها ذُؤباناً او ليوثاً علم يقين ، بل حصل لك الظن بذلك فامتنعت ، فكيف بما نحن فيه؟ وقد علمت علم اليقين ان امراضك التي اعترتك سببها مهلكة الشبان واللواط ، بل انك قد رأيت ذلك عين اليقين ، فامتنع واعلم ان الكثرة من هذا العمل داعية الزيادة منه والتشوق اليه فانك كلما اكثرت مما انت مبتلى به بل من اي شهوة ترى أنك ازددت شهوةً واقبالاً وهيجاناً ، وكلما وطّدت نفسك على اهمالها وتناسيتها تقل رغبتك فيها وهذا امر معروف مشهور ، فالحذر الحذر اني لك نذير مبين

الشاب — : سمعاً وطاعة واني لك من الشاكرين

ثم ان الطبيب رجع في حافرته بعد ان وصف لي دواء مقوياً لجسمي اما انا فلم البث عاملاً بقول الطبيب الا زمناً يسيراً ثم رجعت عوداً على بدء الى اراقة ماء الحياة بالعادتين اللتين تعوّدتهما الى ان كاد يذوي غصن شبابي ويجف ماء اهابي فعزمت على ترك تينك العادتين المضرتين فضربت بهما عرض الحائط ولكن بعد خراب البصرة وندمت على ما فعلت ولات ساعة مندم وان ما ترونه على وجهي من الشحوب وما تشاهدونه على جسمي من النحول واثر الضعف هو من آثارها . ولا تظنن يا مولاي ان مدرسة من المدارس على اختلاف درجاتها خالية من هاتين العادتين ويكثر ذلك في المدارس الداخلية وان بالغ اصحابها في التحفظ بل ربما كان بعض من لا خلاق له من النظار والاساتذة يصطاد بحبائل حيله البسطاء من التلاميذ ويغريهم على ذلك فلا حول ولا قوة الا بالله

الشيخ — : ان قصتك لعجيبة وان امرك لغريب وما كنت اظن انه يبلغ بك ميلك للشهوات الى هذا الحد مع علمك بالمضرة التي قد لحقتك من جرّاءها وقد احسنت صنعاً بامتناعك عنها اخيراً فان ثابرت على ذلك فتسترجع بعض الصحة والقوة اللتين فقدتهما وان احسن وسيلة لبقائك خالياً من هذه الشهوات المواظبة على اداء الصلوات

الشاب — : وهل الصلاة تمنعني عن اقتراف المنكر؟

الشيخ — : نعم يا ولدي انها لكذلك قال الله تعالى : «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» واعلم ان المنكرات كثيرة فان صلى المرء صلاة حقيقية كانت صلاته وسيلة لابعاده عن كل منكر وساوضح لك فائدة الصلاة بالنسبة لسائر المنكرات . ولم ار عبارة اجمع لموضوعك من كلام للسيد محمد رشيد رضا نشره في مناره عند كلامه على فائدة الصلاة . قال :

«ومن فوائد المواظبة على الصلاة قبل البلوغ ان المواظب عليها لا يقع بعد البلوغ في مهلكة شبان التي يعبر عنها كتاب العصر بالعادة المضرة وناهيك بشرورها ومضارها واذا هو اجترحها

لا يفرط فيها فان لم يتبركها لانها محرمة امتنع من الاسراف فيها لتكرار الغسل وهذا ضرب من ضروب نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر والناس عنه غافلون » اه

اما فوائد الصلاة العامة فان المرء الذي يتوجه في صلاته الى الله حتى تستولي الخشية على كل جوارحه ومشاعره ويتأمل فيما يقوله ويتفهم معناه فانه بلا شك يمتنع عن فعل المحرمات كالكذب والغيبة والنميمة واكل اموال الناس بالباطل والتعدي عليهم وغير ذلك مما هو شائع بين الناس

الشاب — : انا نرى كثيرًا من الناس يصلون ومع ذلك فهم في حمأة الشرور منغمسون فكيف يتفق ذلك مع ما ذكرته ؟

الشيخ — : ان هؤلاء المصلين لا يعرفون من الصلاة الا ظواهرها . وهم بمعزل عن معانيها لانهم يصلون ساهين عن حكمها غافلين عن اسرارها وهؤلاء هم الذين قال الله تعالى في حقهم: « ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون » فان صلاة من كان على هذه الشاكلة مردودة عليه غير مقبولة منه من حيث جوهرها وحقيقتها فان الصلاة الحق هي التي تنهى فاعلها عن الفحشاء والمنكر والا فهي خداج وقد جاء في الحديث : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » صدق الله ورسوله وكذب هؤلاء المصلون

قال هاشم بن يحيى : فلما انتهى كلامنا عند منتصف الليل نام ضيوف السجن كلهم الا انا والشيخ فقد بقينا جالسين الى ان اشرقت الشمس وجاء رئيس الشرطة فطلبنا مقابلته فاذن لنا بذلك فكلمناه في امرنا فعرف الحقيقة فاطلق سراحنا . ثم رحلنا عن البلدة خوف ان يدري بنا من كانوا السبب في سجننا فيختلقوا علينا ما لم يكن في الحسبان فسافرنا ماشين على الاقدام حتى وصلنا الى بلدة من بلاد الله

قال راوي الحديث فلما وصل هاشم الى هذا الحد من الحديث انصرفنا على ان نجتمع في الليلة القابلة في الساعة الثالثة بعد الغروب

حديث الجلسة الرابعة

قال راوي الحديث : فلما كان الموعد انتظم جمعنا فقلنا لهاشم بن يحيى هات ما عندك

قال هاشم — : ثم غدونا لنروح النفس من عناء التسيار فدخلنا قهوة من قهاوي المدينة فاذا هي محتشدة بالناس واكثرهم من ارباب البطالة والكسل فكان جلوسنا قريبًا من رهط يتحادثون وكان موضوع حديثهم التذمر من شقاء وجودهم في هذا المجتمع المملوء بالهموم والاكدار والتأفف من قلة ذات يدهم وكانوا ثلاثة اشخاص احدهم يقال له خليل والآخر يوسف والثالث ابراهيم وقد جمعتهم الصدفة ولم يكن بينهم صداقة من ذي قبل فالتفت ابراهيم الى صاحبيه وقال لهم :

اترون لو ان عندي مالاً كفلان كنت في هذه الحالة من الشقاء والفقر ؟ فانكم تعرفون ان والدي كان يحبني حباً جماً وبعد ان اخرجني من المدرسة رغبت اليه ان يعلمني احدى الصناعات او يعوّدني على المتاجرة فابى مدعياً ان هذا لا يليق بك يا بنيّ بل ان في مالي مايكفيك مادمت حياً فاسرح وامرح وخذ من مالي ماتشاء . اما انا فلم اجد كلام والدي قد وافق الصواب بل نصحت له ان يقذف بي عند بعض التجار او الصناعيين فاضمن بك مستقبل ايامي فكان كلامي صيحة في واد او نفخة في رماد . — ثم سرت كما يرغب فكنت امضي الاوقات في السخريات . واقطع الساعات في القهوات . وكان يعطيني كل يوم ما اطلب من المال فكان من ذلك ان تعلمت كثيراً من الملاهي . ثم التفّ حولي نفر من ارباب البطالة والكسل فكنت اصرف عليهم من الاموال ما لو اقتصدته لكان لي منه ما استعين به على تعاطي تجارة واسعة . ولم يكتفوا بذلك بل زينوا لي كثيراً من المنكرات كشرب الخمر ومغازلة الغانيات . والذهاب الى «التياترات» ودخول بيوت الفسق الغاصة بالفاجرين والفاجرات . فازددت صرفاً للاموال وتبذيراً في تعاطي الملذات وتوسعاً في فنون الفجور حتى اتيت على مالدى والدي من المال النقد . ولو انه اطاعني في بيع مايملكه من العقار لاشفى على الدمار . الا انه كان قد تنبه من ذلك السبات الطويل . فلما رأى اصحابي ان باب الاموال قد أوصد في وجهي فلم يبقَ لهم انتفاع مني اخذوا ينسللون من صداقتي واحداً بعد آخر حتى اصبحت ولا خليل الا الهمّ ولا انيس سوى الكدر

قال هاشم — : فالتفت اليه يوسف وقال له : لقد ظلمك ابوك فيما فعل بادئ بدء . وظلمته لانك اسأت التصرف في امواله وقد عهد اليك بان تاخذ حاجتك منها . وقد فرط هو لانه لم يردعك عن اسرافك وتبذيرك فكان ذلك داعية لشقائك وسبباً لاقترافك ما اضرّ بدينك ودنياك . واما انا فقد ظلمني والدي ولم اظلمه لانه منذ تحصيلي شهادة الدراسة اجبرني على ان اكون معه في دكانه وكان يبيع من الاشياء ما لا يسدّ به رمق الحاجة فنصح له بعض اصحابه بان يرى لي عملاً يحفظ عليّ مستقبلي ويعينني على ما يتقاضاني من لوازم الحياة البيتية فلم يقبل بذلك بل قال اني ربيته ليكون عضدي . فمضت الايام الى ان توفي الوالد رحمه الله وغفر له ما جناه عليّ وكان قد زوجني قبل وفاته وجاءني ثلاثة اولاد فكثرت عليّ النفقات ولم يكن ما يرد عليّ من الدكان كافياً لسدّ عوز الحاجات الضرورية . فلما رأيت ان لا نجاح بالبقاء عزمت على ازهاق الروح باي واسطة من الوسائط . ثم تذكرت الله والآخرة فانثنيت عما عزمت عليه ثم رجع عودي على بدئي فبقيت مدة ليست بالقليلة مثابراً على البيع والشراء في الاصناف التي علمني عليها والدي منتظراً الفرج من الله تعالى . غير ان الحال كلما ازدادت تمادياً ازداد الامر اشكالاً والخطب جسامة لانه كلما امتد الزمن زادت العيشة صعوبة لارتفاع اثمان الحاجيات

ارتفاعاً فاحشاً لم يبقَ للفقير معه حيلة في الاقتصاد والتقتير. وقد زاد الطين بلة والضيق ضنكاً ان بعض من لا خلاق لهم زاد في قيمة اجرة دكاني حتى جعلها ضعفيْ ما كانت عليه. فلما بلغ السيل الزبى عزمت على ترك «العائلة» والسفر الى البلدان النائية فان اصبت فيها خيراً رجعت في حافرتي والا فاموت هناك معزوداً بالشقاء والبوءس

قال هاشم — : فنظر اليه خليل شزراً وقال له :

ويحك كيف نتزك أُسرتك لا حول لها ولا قوة ولا معين ولا ناصر؟ أمن المروءة والشرف ان تهجرها وقد عضها الفقر بنابه ومزَّقها العدم بمخالبه وظللها البوءس بظلماته واغرقها الشقاء بلجيِّ امواجه؟ اما تخشى عليها ان تمدَّ اليها يد السوء او تُعرَّض باعراضها الى دركات الفجور فيحيط بها الشقاء من جميع الجهات وينتابها العناء من كل مكان؟ تباً لما عزمت عليه وتعساً. فالاولى بك ان تطرح هذا الفكر وتنبذه ظهرياً وتفكر في امرٍ تنال به ما تستعين به على تمضية سائر الحياة بهناء او عناء — مَن ذلك الرجل الظالم الخبيث الذي يسعى باخراجك من دكانك فزاد في اجرتها؟ اتري ان ذلك حق ام هو محض كذب من صاحب الدكان؟

يوسف — : لا ادري وانما اعلم انه جاء اليَّ صاحبها وقال: اخترْ لك يا يوسف احدامرين اما ان تقبل بالزيادة التي أُضيفت الى الاجرة واما أن تدعها وترى لك أُخرى غيرها فان لها مكترياً بزيادة الف قرش.

خليل— : ان هناك اقواماً يضرّون بغيرهم رغبة في منفعة انفسهم ولم يدروا ان الرسول قال : « لا ضرر ولا ضرار » اي لا ضرر للنفس ولا اضرار بالغير. والعاقل هو الذي يسعى لنفع ذاته دون ان يمسَّ غيره بضررٍ ما. على اني اقول: ان كلام صاحب الدكان بهتان اليست دكانك في المحل الفلاني وان صاحبها فلان؟

يوسف — : بلى

خليل — : ان قيمة اجرتها لاتساوي الزيادة ولا اظن ان احداً يقدم على استئجارها باكثر مما اكتريتها. والخلاصة اني اقول ان سفرك وتركك عائلتك حرام

قال هاشم بن يحيى : ثم قال يوسف وابراهيم لخليل: وانت ما قصتك وما سبب شقاءك

خليل — : الذنب كل الذنب على والدي ووالدتي ايضاً. فاني منذ خرجت من المدرسة قذفا بي في « المأموريات » فكنت انتقل من خدمة الى أُخرى الى ان جاءت « التنسيقات » فكنت خارج « القادرو » فتوسلت بجميع الوسائط لارجع فلم انجح وها انا اليوم كلٌّ على والدي وقد صرت بعد ان كنت ربَّ بيت في مركز لا ادري هل انا فيه سيد او خادم؟ بل انا مبغض من السيد والخادم وبعد ان كنت أُعطي اصبحت استجدي بعض دريهمات كل صباح من والدي

وهي لا تكفيني ثمن الدخان والقهوة، فلو ان والدي قذف بي في غير هـذا العمل لكنت اليوم سعيداً وكان عيشي رغيداً

قال هاشم — : فالتفت الى الشيخ وقلت له يا مولاي : هل انت سامع ما يدور بين هؤلاء النفر الثلاثة من الحديث

الشيخ — : اجل يا بني وان فوآدي ليشتعل ناراً من حال آبائهم ابتداء ومنهم انتهاء

موسى بن طارق — : لا ارى ان عليهم ذنباً وانما الذنب على تربيتهم ومن رباهم واضاع مستقبل حياتهم .

الشيخ — : الذنب على كل من الآباء والابناء

قال هاشم : فسمع كلامنا النفر الثلاثة فقالوا جميعاً بلسان واحد : الذنب ليس علينا وانما هو على آبائنا فقال لهم

الشيخ — : هل لكم في الاذعان الى الحق ان رأيتموه يسطع في فلك الصدق ؟ فقالوا : اي وربنا، فقال لهم الشيخ: اقبلوا الي

قال هاشم : فاقبلوا الينا فقال لهم الشيخ : راعوني آذاناً مصغية وقلوباً واعية ثم اخذ يقول : ان الآباء بسوء تصرفهم في احوال النشء ، وعدم درايتهم باصول التربية الصحيحة اضاعوا حياة ابنائهم وجعلوها تذهب ادراج الرياح . ينشأ الطفل لاحول له ولا قوة الى ان يمضي عليه دور التربية الاولى فان كان الوالد من اهل اليسار يقذف به في المدارس الى ان يخرج منها ثم تاخذه الشفقة والحنان عليه فيمد له حبل الرخاء ويرخي له عنان المرح فيشب ذلك الولد المسكين على ماتعود عليه من حب البذخ والاسراف، ولا يخفى مايسبب ذلك من الشر والفسق والخروج عن محيط العدل في الامور وكسر قيود العفاف والاخلاق الفاضلة والنزوع الى الملذات التي تهدم اساس القوى الجسمية والعقلية ثم تكون العاقبة الهلاك والدمار وخراب الديار . ولي في قصتك يا ابراهيم برهان واضح ودليل ناصع على ما اقول

قال هاشم : فقالوا جميعاً حقاً تقول ايها المولى الفاضل .

ثم قال الشيخ : وان كان الوالد من فقراء القوم فهو لا يسال عن تعليمه في المدارس . بل يهمله اهمالاً ويقذف به في احدى الصناعات قبل اوانه او يستخدمه في دكانه رغبة ببعض دريهمات يتقاضاها من اجره فينشا جاهلاً خاملاً وربما يمضي سني عمره تلقاء اجر قليل لا يسمن ولا يغني من جوع او انه يحترف حرفة كذلك ولو انه علمه ونشاه تنشئة حسنة صالحة حتى اذا بلغ اشده علمه صناعة نافعة او قذف به في محل تجاري لكان له مستقبل زاهر وحياة سعيدة وعيشة ذات غضارة . ولي في قصتك يا يوسف اوضح حجة على كلامي هذا

قال هاشم : فاقررنا كلنا بصحة كلام الشيخ

ثم قال الشيخ : وان كان الوالد من متوسطي الحال يسعى ليكون ولده في جملة المستخدمين في وظائف الحكومة فان اتفق انه كان من اهل الدين والوجدان الصحيح عاش عيشة ضيقة لقلة رواتب المأمورين خصوصاً الصغار منهم لان الاجر كما تعلم ليس بنسبة العمل وانما هو بنسبة علو المنصب وانخفاضه ٠٠٠٠٠ فالعامل الصغير يشتغل كثيرًا ويأخذ على اعماله قليلاً ، والعامل الكبير يشتغل ٠٠٠٠ وياخذ ماياخذ وهو ناعم البال ٠٠٠٠ وان كان ذا تربية سافلة ولم يكن في قلبه شيء من الرحمة والوجدان الطاهر اضاع الحقوق وباع الامة والوطن وصيّر الجاني بريئاً والبريء جانياً تلقاء ما ياخذه على ذلك من الرشوة والمال السحت ، وهناك الفضيحة في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد ٠ ثم يتفق ان يعزل من وظيفته بحق او بغير حق فيعيش عيشة المتشردين بلا عمل ، فيغدو الى مواضع اللهو ويروح الى مواطن الكسالى ، ويحيى حياة البائسين ٠ ولي في قصتك يا خليل دليل ابلغ على ما أقول

قال هاشم : فوافق الجميع على كلام الشيخ ، غير ان خليلاً قال له : ان ترك الناس كلهم طلب الوظائف فمن يقوم بتدبير امر الامة وادارة شؤونها ؟

الشيخ — : هذا سوأل خطر لي في أثناء كلامي انك ستسأله ، ولكني لا اقصد من كلامي ان يترك الناس كلهم الوظائف ، بل اريد ان يتخصص لها من هو كفوء لها ان علم انه امين عليها لا يعزل منها الا متى فعل ما يستحق ذلك ٠ ولكننا نرى الامر بالعكس اذ يتهافت عليها الناس من هو اهل لها ومن ليس بأهل ٠ بل كثيرًا ما يعرض عنها الاكفاء ترفعاً ان يقارنوا فيها من ليس بكفوء من طالبيها أو الذين هم قابضون على أزمتها ٠ لكن متى تشرّفت الوظائف وامن كل موظف صادق على وظيفته وكان ما يتقاضاه من الاجر وافياً بحيث يعيش عيشاً هنيئاً دون ان يمد عينيه الى السحت والرشوة فيجب حينئذ على كل من يحب ترقي بلاده والنهوض بامته وكان فيه الكفاءة ان يتقدم الى طلب مايستطيعه من الوظائف

قال هاشم : فاعترف خليل بمغزى كلام الشيخ وشكر له

قال الشيخ : هذا كلامي من جهة خطأ الآباء ٠ واما كلامي في تخطئة الابناء ٠ فاني أجمله ببضع كلمات :

اذا لمنا الآباء لاهمالهم ابناءهم وتركهم حبلهم على غاربهم فاننا نلوم الابناء على تماديهم في الغرور وعدم اتعاظهم باحوال من غرتهم الاماني وخلبهم حب الشهوات ٠ أجل اننا لنلومهم على ذلك خصوصاً بعد ان بلغوا اشدهم وعرفوا الدهر وذاقوا حلوه ومره ٠ فبقاؤهم على حالتهم التي اعتادوها مع اعترافهم بسيء حاضرها وشرور عاقبتها موجب لهم اشد اللوم ٠ ولا يقبل

قولهم : ان المرء اذا اعتاد امراً لا يمكنه ان يتفصّى منه أو يتملّص من اعبائه . ذلك لان الانسان يمكنه ان يعتاد ما شاء ويستطيع ان يتركه — هذا ان عدّ نفسه من بني الانسان . هذه هي الكلمات التي اقولها في لوم الابناء

قال هاشم : فاعترف النفر الثلاثة بصحة كلام الشيخ . واذعنوا لعظته . ثم انصرفوا بعد ان أخذ عليهم العهود والمواثيق ان يبحث كل واحدٍ منهم عن عملٍ يعمله وان يصلحوا فيما ياتي ما أفسدوه في الماضي

ثم انصرفت أنا والشيخ من المكان الذي كنا فيه . وقصدنا مجتمعاً عاماً يلجأُ اليه الناس في الليالي . فدخلناه فاذا هو محتشد بالقوم على اختلاف منازلهم فان فيهم الشريف في قومه والمتوسط والوضيع والغني والفقير وكل واحد منهم يلهو بامرٍ — هذا بغانية يغازلها وذلك بخمرةٍ يعاطيها وآخر بازلام يقامر بها — فجلسنا نرنو اليهم آسفين على احوالهم . وكان اسف الشيخ على المقامرين اشدّ من اسفه على كل من رآه في ذلك المجتمع وله الحق في ذلك . لان هذه العادة السيئة قد انتشرت انتشاراً هائلاً في بلادنا . وهي من المفاسد العظمى التي جاءتنا بها المدنية الحديثة . ومن الغريب انها قد استولت على علية القوم واوساطهم واسافلهم . فلم ينجُ منها الا قليل ممن رحمهم الله — وقد اتخذ لتعاطي هذه المهنة السافلة محالّ عامة وخاصة . وأغرب من ذلك كله انها منتشرة بين كثير من النساء وتلاميذ المدارس . وكان الاولى بالجنس اللطيف ان يكون حاجزاً دون هذه الموبقة — كيف لا يأسف المرء العاقل اذا رأى الفقير يعتمل نهاره لتحصيل بضعة قروش ثم هو يخسرها في ساعةٍ من الزمان على مائدة الميسر . ثم يبيت هو وأهل بيته ضامرين جائعين ؟ ... اللهم رحماك .

كيف تغفل الحكومة عن مثل هذه الاعمال ولا تهتم بها ؟ نعم انها الآن بدأت تتعقب هؤلاء الاشرار فعسى ان ترينا من الحزم ماتنقطع به هذه العادة فيستريح الفقير المسكين وتقوّم من اخلاق الاغنياء الذين يتلذذون بذهاب اموالهم هدراً في ميدان المقامرة

قال هاشم : كنت افكر بما تقدم والشيخ كذلك . وبينا انا غارق في بحر التفكر اذا بالشيخ وقف ونادى باعلى صوته : هلمّ اليّ أيها القوم . فذعر الحاضرون لصوته والتفتوا كلهم اليه مصغين لما سيلقيه عليهم

أما الشيخ فقد هدرت شقاشقه والقى عليهم ما خلاصته :

« أيها القوم : خذوا القول ودعوا القائل . ان لكلامي معكم لحديثاً وان لوقوفي بينكم لامراً فاستمعوا وعوا واعملوا بما تعون — ان الامم الغربية قد سارت شوطاً بعيداً في ميدان التقدم . وكنا اذا طلبنا من قومنا ان يجاروهم قالوا : أنّى لنا ذلك والحكومة الاستبدادية قد

ضربت بيننا وبين التقدم بسورٍ عظيم . فكنا راضين بمثل هذه الكلمات . أما اليوم فاي عذرٍ لنا بعد ان دُكَّتْ صروح الاستبداد ومحيت معالم الظلم وذهب الدور المظلم باهله ؟ لعمري ليس لنا من عذر . الا وان الامم الاوربية تنظر الينا بعين الاحترام وترمقنا بطرف الانتقاد . فان لم نسعَ الى ارجاع مجدنا السعي الحثيث - وان لم نخطُ الى الامام خطوات واسعة . وان لم نبرهن للامم الحية اننا أُمة حية . وان لم وان لم .... فسوف تدوسنا الاقوام وتبني على انقاضنا تمدنا جديدًا بعد ان تجعل بلادنا نهبًا مقسّمًا — واني ارى الامة لم تزل كما كانت في الدور الماضي أمةً خاملة جاهلة لا يهمها الا اللهو والطرب وتضييع الاوقات فيما يعود عليها بالخراب والدمار

ماذا اعددتم للرقي ؟ وما ذا هيأتم للتقدم ؟ وما ذا اتخذتم من الوسائل لمجاراة الامم الدستورية ؟ فهل نفرح باننا نلنا الدستور واننا أُمة دستورية ؟ لعمري ما الدستور الا نهضة الامة ويقظتها واتحادها وسعيها في سبيل حياتها واعدادها الوسائل التي ترفعها الى مراتب الامم المتمدنة أراكم اعددتم لما ذكرت اكواب الخمور وآلات القمار وقدود الغانيات .....

قال راوي الحديث : قال هاشم بن يحيى فلما وصل الشيخ الى هذا الموضع من الكلام علت الاصوات وزاد الضوضاء وكثرت الجلبة وصاحوا بالشيخ ان اسكتْ والا اعدمناك الحياة . فعلمت اذ ذاك ان الامة لم تزل على ماهي عليه وانه يعوزها وقت طويل لترفع عن قلبها برقع الضلال واستار الاخلاق السافلة

أما الشيخ فقد وجم ساكتًا كي يخفف من حدتهم فلم يجده ذلك نفعًا بل لجُّوا في عتوّ ونفور وعربدة وغرور . وزادوا في الشتم . ثم لم يكتفوا بذلك بل اخذ نفر منهم يطلقون الرصاص من مسدساتهم على الشيخ فاصابوه في يده ورجله وجسمه

أما انا فقد هجم عليَّ زعنف منهم وبيده هراوة فضرب بها رأسي ضربة شديدة مؤلمة فذعرت لذلك فاردت الهرب فاذا انا جالس في سرير النوم فوق فراشي . فعلمت اني في منام . وأنَّ ما رأيته كان حلمًا من الاحلام .....

المغزى

ان الامة لم تزل نائمة ولا ينبهها الا ضربة مؤلمة موجعة . وليست هذه الضربة ببعيدة . فان لم تكن بعصا من صنع بلادنا فهي بعصا من غيرها . فهلاَّ يقوم فينا من يسبق البعيد عنا .....

خاتمة السنة الاولى

الحمد لله في بادئ الامر وخاتمه

وبعد فان السنة الاولى من النبراس تتم بهذا العدد · وقد بذلنا جهد المستطيع في اختيار الموضوعات المفيدة والمباحث الاجتماعية والعمرانية الراقية ، والاساليب التهذيبية المهمة ، وهذه الموضوعات هي التي انشأنا المجلة لاجلها · وما سواها فهو ثانوي بالنسبة لها لاننا في حاجة عظمى الى المقالات التي تبث في نفوس النابتة روح النهضة وتحملهم على الحياة حياة راقية

انشأنا النبراس ونحن لا نتصور ان تكون له المكانة التي نالها ، وكنا نتصور ان الخسارة المادية ستكون في هذه السنة عظيمة ، فقد صدر الجزء الاول منه وليس له من المشتركين الا زهاء مائة مشترك لاغير ، وما كاد هذا الجزء ينتشر حتى تهافت الراغبون فيه على طلب الاشتراك · ولم يتمّ سنته الاولى حتى صار مشتركوه زهاء خمسمائة مشترك ، ولم يزل طلبه مستمرًا من الجهات الدانية والقاصية · وبذلك كانت الخسارة في هذه السنة نحوًا من نصف ما كنا نتصوّر · وهي خطوة عظيمة خطاها النبراس مع شرط اشتراكه الضيق · وقد لامنا كثير من اصدقائنا على عدم ارسال المجلة اليهم والى كل من نرجو فيه حب مساعدة العلم والادب كما هي العادة المتبعة في الصحافة ، وهذا اللوم قد خطر لنا وذكرناه في فاتحة هذه السنة ، ونحن نقول لهم ما قلناه في اول عدد : ان كثيرًا من الناس يقبلون الاشتراك حياء ، وكثير من هؤلاء يرفضون الصحيفة عند انتهاء السنه الاولى · اما من يشترك مختارًا فيندر ان يعدل عن الاشتراك ما دامت الصحيفة حية · والقليل الدائم خير من الكثير غير الثابت وان خسرت المجلة اليوم فتعوّض الخسارة في الغد · وتلك سنة الترقي « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

وقد لامنا كثير ايضًا على جعل بدل الاشتراك زهيدًا قليلاً · ونقول : اننا لم نقصد من انشاء المجلة الربح المادي · ولم يخطر لنا منذ تصوّرنا اصدارها الا خدمة الامة وبذل الجهد في انهاض نابتتها · ولذلك فاننا سنبقي القيمة كما هي · واما الخسارة فالامل ان تعوّض في السنة الآتية · ولا يكون ذلك الا بكثرة المشتركين · ونحن واثقون من زيادتهم في العام القابل

وسيكون النبراس في عامه الثاني على شكل الطف من شكله الحاضر فسنقلل من طوله وعرضه قليلًا عملًا باشارة كثير من المشتركين واتباعاً لاقتراح جريدة (ابابيل) بحيث يصير بحجم المجلات السائرة كالهلال والمنار والمقتطف غير اننا في مقابل ذلك سنطبع اكثره بحرف صغير كحرف هذا العدد بحيث يستوعب زيادة عما يستوعبه كما لو طبع بالحرف الكبير — وتلك الزيادة لا تقلّ عن عشر صفحات · فانه وان بقي اربعين صفحة من حيث الحجم فانه سيكون خمسين صفحة من حيث المادّة واستيعاب المطالب · اما ورقه فسيكون خيرًا من ورقه اليوم الا في العدد الاول والثاني فسيكون من هذا الورق لان مطلوبنا من الكاغد لا يصل الا بعد شهرين على الاقل · اما موضوعاته فسيزاد فيها بحث دائم في العلم الحاضر والصحة والتاريخ والآداب العربية وغير ذلك مما يروق القراء · واننا نختم هذه السنة كما افتتحناها بحمد الله سائليه التوفيق وتسديد المساعي وانجاح المقاصد بمنه وكرمه

